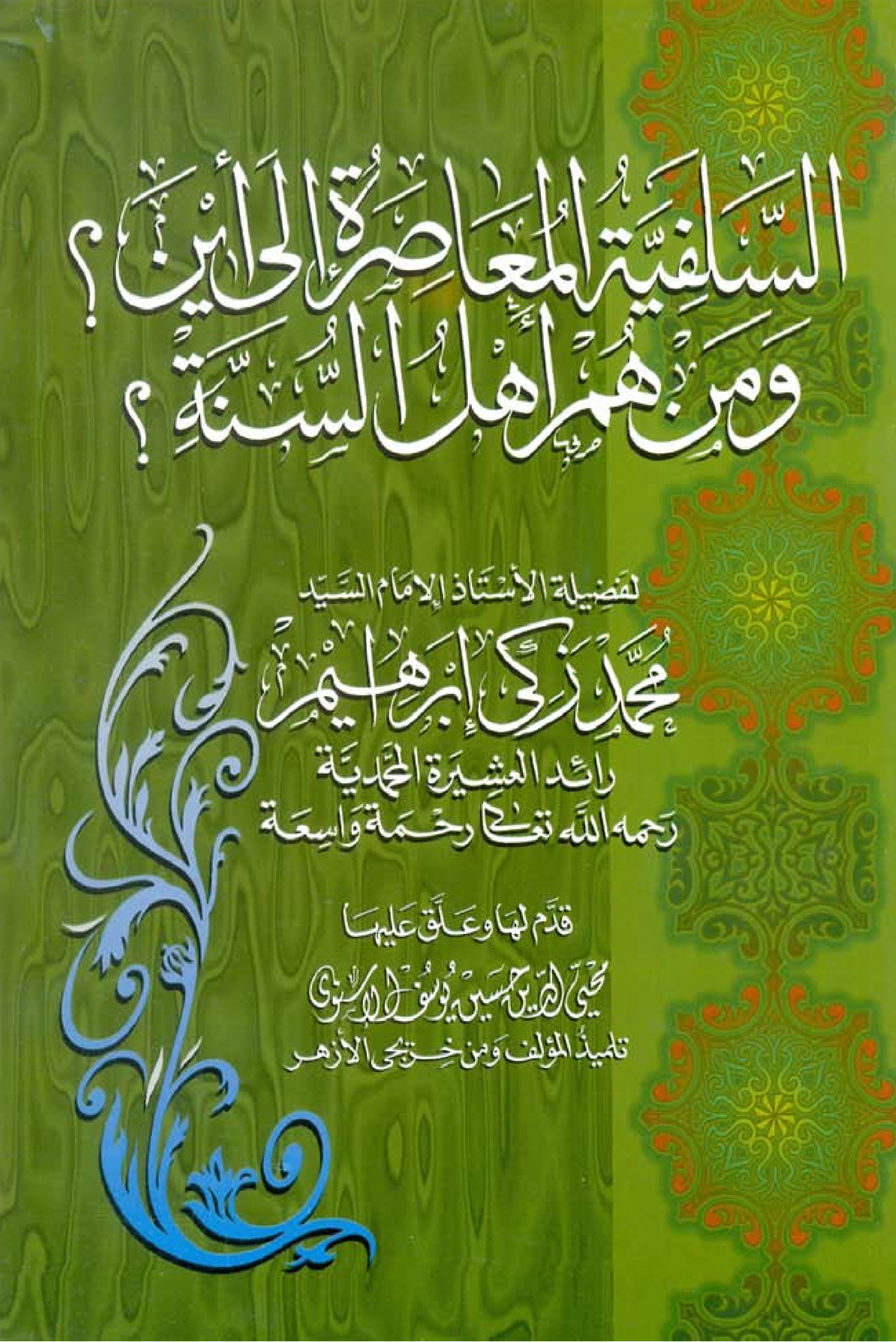

السلفية المعاصرة إلى أين؟
ومن هم أهل السنة؟
لفضيلة الأستاذ الإمام السيد
محمد زكي إبراهيم
رائد العشيرة المحمدية
رحمه الله تعالى رحمة واسعة
قدم لها وعلق عليها
محيي الدين حسين يوسف الإسنوي
تلميذ المؤلف ومن خريجي الأزهر

السلفية المعاصرة إلى أين ؟
ومن هم أهل السُّنَّة ؟

السلفية المعاصرة إلى أين؟ ومن هم أهل السنة؟

لفضيلة الأستاذ الإمام السيد

محمد زكي إبراهيم

رائد العشيرة المحمدية

رحمه الله تعالى رحمة واسعة

اعتنى بها وراجع أصولها

محيي الدين حسين يوسف الإسنوي

تلميذ المؤلف ومن خريجي الأزهر

الناشر

مؤسسة إحياء التراث الصوفي

بسم الله الرحمن الرحيم

لا إله إلا الله - محمد رسول الله

الطبعة الثانية المتكاملة

طبعة مصححة منقحة ، مخرجة الأحاديث ، وفيها زيادات مهمة ومفيدة ، روجعت على الطبعة السابقة وعلى أصول المؤلف رحمه الله تعالى .




مقدمـــــــــة [1]

بسم الله الرحمن الرحيم ، حامداً ، مصلياً ، مسلماً . .

التصوف الشرعي هو التسلف الإسلامي ، والتسلف الإسلامي هو التصوف الشرعي ، لا فرق في الأصل بينهما أبداً ، فكلاهما دعوة أساسها القرآن ، وما صَحَّ عن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّمَ .

والذي يراجع أسناد رجال الحديث الشريف لا يوشك أن يجد فيهم واحداً إلا وهو موصول السند بالسَّادة (الصُّوفية) ، والمُحَدِّثون أركان السَّلفية .

والخلاف المصنوع الذي حَدَثَ بين الصُّوفية والسَّلفية إنَّما كان أصله قديماً العبث السياسي ، وإقحام الدِّين في خدمة المُلك والحكم ، ثُمَّ أخذ هذا العبث لونه الديني المزيف ، مع التطور الزمني ، وكان بعض الانحراف قد دبَّ في المجال الصُّوفي ، فأمكن منه المتمسلفة ، ونحن حين ننقي التصوف من مستغلقة ومدسوسه ، وننقي التسلف من اندفاعه ومجازفته وتهوره وتوقحه ، إذا نقيناهما فلن تجد بينهما خلافاً أبداً .

غير أنَّنَا نفرق بين التسلف والتمسلف ، وقد قررنا أنَّه لا فرق في

---

(١) لم أجد تقدمة لهذه الطبعة من هذا الكتاب خيراً من هذه الكلمة (حول التسلف والتمسلف) لفضيلة الإمام الرائد رحمه الله تعالى ، والتي نشرت في الجزء الثالث من رسائل الدعوة المحمدية ، وشيخنا رحمه الله تعالى عاش حياته يكافح أدعياء التصوف ، وأدعياء التسلف ، وكتب في ذلك الكثير من المقالات والمؤلفات .

الأصل بين التسلف والتصوف ، فكُلُّ صوفي سلفي أصلاً ، وقد لا يكون العكس ، أمَّا (التمسلف) فهو التهور والتوقح الذي ينقل أحكام الحرام والحلال إلى الإيمان والشرك ، ويحكم على كافة أهل القبلة بالخروج على الإسلام ، ولا يُبْقي أديماً سليماً لمسلم ، سابق أو لاحق ، سواء العلماء أو الحكام أو الأولياء أو غيرهم ، ولا يأخذ الأمور إلا من وجهها المظلم ، فيمزق الأمة شر ممزق ، وهو يمهد – بعلم أو بجهل – للتبشير والاستعمار ، بتجريده التأريخ الإسلامي من الأمجاد والفضائل ، وإشغاله الأمة بتوافه الأمور المختلف عليها ، عن كفاح المتفق عليه من أخطار الإلحاد والانحلال والفساد ، ثُمَّ بتخريبه كلَّ بناء مهما عظم ، ما دام لم ينشأ على يد سلفي أو متمسلف .

ثُمَّ إنَّ (التمسلف) في الواقع يخدم دعوة سياسية معينة ، ويدعو إلى أهداف عميقة ماكرة ، فلهذا ولغيره نحن نكافح التمسلف كما نكافح التمصوف ، وكلٌّ ذلك خدمة لدعوتنا وديننا وقوميتنا وأهدافنا العالية .

وصَلَّى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسَلَّم .

وكتبه المفتقر إليه تعالى وحده
محمد زكي الدين بن إبراهيم الخليل الشَّاذلي
رائد العشيرة وشيخ الطريقة الشاذلية المحمدية
(رحمه الله تعالى رحمة واسعة)

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي هذه الرسالة

الحمد لله وكفى ، والصَّلاة والسَّلام على عباده الذين اصطفى ، والرضا عمن صفا ووفى ، وبالله اكتفى .

وبعد ..

ففي هذه العتمة الوافدة التي أطبقت على الوطن الإسلامي ، وبخاصة في مصر ، حتَّى فتنت النَّاس عن دينهم ووطنهم ، وأشاعت البلبلة والاضطراب الفكري والفعلي بينهم ، حُكَّاماً ومحكومين ، حتَّى تشكك النَّاس في كل ما يرتبط بحياتهم ، وانشغلوا عن واجباتهم الخاصة والعامة ، وعن الأخطار الكبرى ، بما مَزَّقَهم تمزيقاً رهيباً تستراً بالمدِّ الإسلامي المحبب ، فإذا الأمَّة شيع تتوالد وتتناسل فرقاً ذاهلةً مذهلةً ، بما بدد الشمل ، وضاعف الشتات والتنافر والتناحر والتدابر والقطيعة ، باسم التوحيد والدِّين المفترى عليه في الأسرة والقرية والمدينة والعاصمة .

(١) خوارج العصر الحاضر :

فإذا خوارج العصر الحاضر يحكمون بإخراج الملايين الإسلامية من دين الله ، ويعودون بالأمَّة إلى أيام الفتنة الكبرى ، وما أصاب المسلمين من جَرَّائها ، فأهل القبلة عندهم « مسلمون » ، أمَّا هم فـ « إسلاميون » ، وأهل القبلة عندهم « صابئة وثنيون » ، أمَّا هم فـ « موحدون » ، ورتبوا على ذلك الفساد أحكاماً فاسدة يبرأ منها العقل والشرع والتوحيد السليم ،

وربطوا أنفسهم بعجلات بلاد أخرى ، ثرية بالمال والعصبية ، مفتونة برغبة الهيمنة والتسلط على الوطن الإسلامي جميعاً ، بحُجَّة أنَّ المسلمين اليوم يعيشون فيما هو أشر من الجاهلية الأولى ، شركاً ووثنيةً وفساداً ، وأن على هؤلاء السادة أنْ يردُّوا المسلمين إلى التوحيد بكل وسائل العنف والإرهاب والغطرسة والاستبداد ، والإصرار المطلق على أن الإسلام هو إعفاء اللحية وكفى [١] ، وبذلك استحلوا دم المسلمين وأموالهم وأعراضهم في حين لا يجرؤ أشدهم تعصباً أنْ يمسَّ يهودياً من لصوص بيت المقدس بكلمة واحدة !! [٢] .

(٢) الانفصال بين الوعي والواقع :

ولا نجد هنا أبلغ مما كتبه الأستاذ « فهمي هويدي » بالأهرام حول هذه الظاهرة المؤلمة ، ونصُّه :

« لسنا هنا بصدد مناقشة هذه الأمور أو السعي إلى حسمها ، ولكن القدر الذي يعنينا منها هنا هو أنها تعكس انفصالاً مؤرقاً بين الوعي والواقع ، وتحمل بين طياتها دعوات للإبحار في عوالم مختلفة عن عالمنا ، والانشغال بأمور لا تمت إلى همومنا من قريب أو بعيد ، وأغلب الظن أنَّ أصحاب هذه الدعوات ، ومن لَفَّ لَفَّهم ، لم يسمعوا بأنَّ خطر نضوب المياه الذي قصم ظهر بعض الدول الأفريقية بات يطرق أبواب مصر ، ولم

(١) راجع فصل « أهل السُّنَّة وأهل اللحية » فيما يأتي .

(٢) راجع كتاب « أهل القبلة كلهم موحدون » لفضيلة شيخنا الإمام الرائد رحمه الله تعالى ، ففيه الأدلة الواضحة والبراهين الساطعة .

يصل إلى علمهم أنَّ بلادهم مدينة بأكثر من ثلاثين ملياراً من الدولارات ، وأنَّ رغيف الخبز الذي يأكلونه هو من فضل المعونة الأمريكية ، ولم يفهموا معنى الأنباء التي تسربت عن مخزون « القنابل الذرية » لدى إسرائيل ، أو عن الطائرة العملاقة « لاڤي » التي تفوقت على الطائرة الأمريكية العاصفة اف – ١٦ .

إخواننا هؤلاء تعطَّلت لديهم أجهزة الاتصال مع الواقع الذي نعيشه ، وأقاموا لأنفسهم محطات إرسال خاصة ، على موجاتها مضوا يبثون أفكارهم ، ويشيعون مناظراتهم ، ويبشرون بمناهجهم ودعواتهم » .

(٣) السَّلفيون المعتدلون إخواننا :

نقول : لا بُدَّ أن نقرر هنا أننا أسعد النَّاس بما هو – بحق – من الصحوة الإسلامية السمحاء ، والمد الديني الحبيب ، ولهذا نقدر كل التقدير كثيراً جداً من الشخصيات السَّلفية العاقلة المعتدلة الموزونة ، وبيننا وبين كثير من هؤلاء الأخوة الأبرار العلماء تزاور في الله ، وتعاون على البر والتقوى ، ومحاورات ومناظرات علمية رشيدة في الله ، من أمثلة ما كان في العهود السوالف ، إنَّنا نرجو بما كتبنا وبما نكتب ألا نهدر هذه العلاقات الشبابية النافعة ، وأنْ نوجهها إلى الحق الصريح والعمل الصحيح ، على أساس سماحة الإسلام ، وسعة الأفق ، وتقديم الأهم ، ونشر الحب ، والاستقلال عن التبعية في الفكر أو المظهر ، والتنزه عن الخلق العقيم أو الجهل اللئيم ، الذي يتقمص الصورة الدينية ، وحقيقته سياسية عنصرية غائرة الأعماق .

(٤) فتوى دار الإفتاء المصرية :

ولغرام هؤلاء الأخوة بتحسين الصور والهيئات التي هي عادات لا ترتبط بأية عبادة ، نقول :

قد أصدرت دار الإفتاء الرسمي فتوى نشرتها جريدة « اللواء الإسلامي » في (٨/ ١٠/ ١٩٨٧م) عن حكم المظاهر والعادات التي يجعلها بعضهم فروضاً حتمية ملزمة [١] من لم يفعلها كفر (عياذاً بالله) ، وهذا هو نص الفتوى :

« إنَّ لباس الرجل أو المرأة من الأمور العادية التي تخضع لمتعارف كل أمة أو أسرة ولزمانها ومكانها ، ولتحقق المصلحة أو الضرر في استعمالها ، وليست مما يتعبد به حتَّى يتقيد لابسها بنوع أو زي منها .

فهي على أصل الإباحة ، بل إنَّ جميع العاديَّات مما لا ضرر فيه بالدِّين ولا بالبدن ، وكان مما يخفف مشقةً أو يجلبُ منفعةً فهو مستحسن ، ولا مانع منه ما لم يكن ممنوعاً بالنص ، أو يقترن به معنى يقصد الشرع إلى التخلي عنه ، أو يقترن به محرم شرعاً . .

فإذا نصَّ الشرع على التحريم كان محرماً كلبس واستعمال الحرير والذهب للرجال لغير حاجة ونحو ذلك ، فإذا مسَّت الحاجة إليهما كاستعمال الحرير واتخاذ السن من الذهب لضرورة صحية ومصلحة بدنية كان ذلك مباحاً شرعاً ، فإنَّ دين الله يسر ، قال الله تعالى : ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾ .

---

(١) قال شيخنا رحمه الله : « سنن العادات والهيئات والمظاهر هي أمور اختيارية لا ترتقي أبداً إلى درجة سنن العقائد والعبادات بإجماع » .

وإذا اقترن باللبس – من أي نوع كان – ما يحرم شرعاً كأن يلبس نوعاً من اللباس إعجاباً وخيلاء وإظهاراً للتقوى والصلاح ، والتعالي على الآخرين ، أو تلبس المرأة ثوباً يظهر عورتها أو زياً يقصد بلبسه التشبه بزي الكفار (غير المسلمين) ، كان ذلك غير جائز شرعاً ، لا لذات الملبس ولكن لما قارنه من المعاني الممنوعة ، وقد يكون ذلك محرماً ، وقد يكون مكروهاً ، يُقَدَّر ذلك بقدر ما قارنه من تلك المعاني » [١] .

وإنَّما نسجل هذه الفتوى لنؤكد أنَّ سنن العادات اختيارية فلا يترتب على تركها كل هذه الفتن المحزنة ، وهذا الإصرار على مزيد من تفريق الأمة وتمزيقها [٢] .

(٥) كلُّ السُّنن على العين والرأس :

اللهُمَّ فاشهد : إننا نُحبُّ كُلَّ الحب سُنَّة الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم بأقسامها القولية والفعلية والإقرارية ، التعبدية منها والعادية ، ونمنحها في عقولنا وقلوبنا ما هي أهله من القداسة والكرامة والإيمان ، ونتمنى أن نكون من خيار أهلها .

فإذا جاء في هذه الرسالة ذكر ما يتعلق بسنن العادات التي لا ترتبط

---

(١) الفتوى نشرتها جريدة « اللواء الإسلامي » في التاريخ المذكور ، وهي للشيخ المفتي علام نصار رحمه الله ، مسجلة برقم (١٠٥٧) ، فتاوى دار الإفتاء المصرية ، بتاريخ ذو القعدة ١٣٦٩هـ – ١٩ أغسطس ١٩٥٠م .

(٢) قال شيخنا الإمام الرائد رحمه الله تعالى : « فهنا مسجد للمسلمين وبجواره مسجد آخر للمسلمين ، وفي كلٍّ منهما تقام الشعائر بصورة مخالفة ، فهذا سُنِّي وهذا بدعي ، وهذا مشرك وهذا موحد !! » .

بعقيدة ولا عبادة مقررة ، فالمراد أنَّنا بقدر احترامها وتوقيرها لا نملك ولا نستطيع - لا نحن ولا غيرنا - أن ننقلها إلى حكم الفرض الحتمي الملزم اللازم ، فنجعلها علامة الإسلام أو شارة التوحيد .

وإنَّما نقرها على حكمها الشرعي المتفق عليه بين جميع فقهاء الأمة سلفاً وخلفاً ، سنة عادة لا غير ، من فعلها فله أجره ، ومن لم يفعلها غير منكر ولا ساخر فاته هذا الأجر ، فإنَّ العادات تتغير وتتطور بحكم الزمان والمكان وحضارة الإنسان .

فليس من حَقِّ أحد - كائناً مَنْ كان - أن يُخْرِج مسلماً من الإسلام ، أو يتهمه بالكفر أو الشرك أو الزندقة أو الردة ، لأنَّه لم يمارس سُنَّة العادة هذه أو تلك ، أو لم يلتزم بوجه معين من أحكام الفروع الخلافية ، كما يشيعه الحمقى والمخبولون من أدعياء التدين الجاهل المنقوص والمنقوض ، ونستغفر الله ونتوب إليه .

(٦) قضية تطبيق الشريعة :

كنَّا بحمد الله منذ نصف قرن أو يزيد ، منْ أول مَنْ طالب بتطبيق الشريعة الإسلامية ، قانوناً وعرفاً ، وكنَّا أولَ من أقام المؤتمر التاريخي الذي شاركت فيه الجهات الرسمية والشعبية لتحقيق هذا الغرض الكبير ، وقد تابعنا قراراته حتَّى تألفت اللجان بمجلس الشعب لهذا الغرض ، وحتَّى أنهت مهمتها في رياسة الأستاذ السيد مرعي ، ثُمَّ الدكتور صوفي ، ثُمَّ جاءت الظروف الطائشة فعطلت هذا المجهود ، وهو يوشك أن يؤتي بعض الثِّمار .

وكنَّا ولا نزال نرى أنَّ تطبيق الشريعة ليس هو إقامة الحدود فقط ، ولكنه أيضاً التربية الإسلامية الشاملة ، والالتزام الديني السمح الرفيق ، النابع عن الضمير والإيمان ، في كل مطالب الحياة الإنسانية .

فتطبيق الشريعة كما يكون بالقانون ، يكون قبل ذلك وبعده بالعلاقة بالله ، يطبقه العامل في مصنعه ، والطبيب في عيادته ، والموظف في مكتبه ، ويطبقه الرجل على نفسه وأسرته ، والتاجر في متجره ، والطالب في معهده ، والزارع في حقله ، والأستاذ في مدرسته وجامعته ، وبالجملة يطبقه كل إنسان في ناحية اختصاصه أو رعايته ومسئوليته ، إيماناً واحتساباً ، قبل الخوف من عصا القانون ، أو سوط الإلزام الخارجي كيفما كان (وهذا هو التصوف) .

(٧) وهذه وظيفة الدعاة إلى الله :

وهذا الجانب هو ممَّا ينبغي ألا يهمل حتَّى تقنن الشريعة ، أو حتَّى يبدأ التطبيق التدريجي أو غيره .

هذه وظيفة المعهد والمدرسة والجامعة والإعلام ، ووظيفة العلماء والوعاظ والأئمة والأساتذة والدعاة إلى الله والصوفية الصحيحة والجمعيات الإسلامية ، على أن تكون بالحكمة والإقناع والاستمرار والدأب ، في محبة ورفق وتواضع وكياسة وتجميع وتكتيل ، لا في عنجهية وعبوس وغطرسة واحتقار للآخرين وما اختاروا لأنفسهم من مذاهب أو مشارب في حدود الكتاب والسُّنَّة ، وإن اختلفت المفاهيم ، بل

دون تعصب لمذهب معين أو رأي بالذات ، بل إلى سماحة الدِّين ومرونته وسعته وعالميته ، وسلمه وأمنه وسكينته ، لا تطرف ، ولا إرهاب ، ولا تخريب .

ولنفرض أن أمورنا كلها بين الرخصة والعزيمة ، فمن أخذ بأحدهما فقد أصاب[1]، و « حسبنا من المُسْلم ما يصير به مُسْلماً » ، ثُمَّ نتناصح تناصح الأحباء والأخوة ، فنتواصل ولا نتقاطع أفراداً وجماعات كأنَّنا أعداء ألداء لا تخمد بيننا نيران الخصومة كما هو الآن .

نُسَجِّلُ هذا لوجه الله ، والله سميع عليم .

***

---

(١) للإمام الشعراني رحمه الله في كتابيه « الميزان الخضرية » و « الميزان الكبرى » كلام عظيم عن الرخصة والعزيمة ، من محصله : أنَّ أحكام الشريعة الإسلامية المتوسع فيها تدور بين الرخصة والعزيمة ، وكل بحسب حاله مثاب إن شاء الله ، وكلا الوجهين مشروع العمل به بشروطه ، وأنَّ الرخصة والعزيمة مرتبتان على الترتيب الوجوبي، لا على التخيير ، فلا يلجأ إلى الرخصة من له قدرة على العزيمة، أخذاً بالأحوط ، إلا ما ثبت فيه تخيير من الشارع الحكيم، أو فعله لهما جميعاً على السواء من غير نسخ .

ثُمَّ قال الشعراني : «ثم لا يخفى عليك – يا أخي – أننا ما سمينا مرتبة التخفيف في هذه الميزان رخصة إلاّ بالنظر لمقابلها من التشديد لا غير ، وإلاّ فالعاجز لا يكلف بما هو فوق طاقته، وإذا لم يكلف بما فوق طاقته؛ فالرخصة حينئذ في حقه كالعزيمة، لا يجوز له النزول عنها إلى مرتبة ترك ذلك الأمر بالكلية ؛ فليس مرادنا هنا بالرخصة ما هو متعارف بين الأصوليين» . راجع رسالة شيخنا « الفروع الخلافية » بتعليقات راقمه .

السلفية المعاصرة .. إلى أين ؟!
كل مسلم موحد ، ولله الحمد

(١) تقدمة وتمهيد :

للإنسان العاقل مطلق الحرية فيما يختار لنفسه من مذهب أو فكر ، ما دام قادراً على تمييز الخبيث من الطيب ، وما دام له من سعة الثقافة والعلم ما يؤهله لصحة الأحكام ، ولكن ليس له مطلقاً أن يقف نفسه وعلمه وقلمه على هدم من خالفه ، لمجرد أنه يخالفه ، دون التعمق في تحليل الرأي المخالف وما له من دليل يعذر به صاحبه .

والإسلام دين الإنصاف ، ودين الأدب ، ودين عفة القلم والنفس واللسان ، ودين التحري والاحتياط والتورع ، ودين الترفع عن السفاسف والأخذ بمعالي الأمور ، فلا إكراه ولا إجبار على حسي أو معنوي .

(٢) الطوفان الأعمى :

ونحن الآن أمام « طوفان أعمى » من الدَّعاوى والدِّعَايات والادِّعَاءات التي تخرج المسلمين جميعاً من دين الله ، فرادى ومجموعات ، بعشرات . . بل مئات الملايين ، بجرَّة قلم ، أو انبعاق مخبول أحمق مستغلق ، ينضح بالجهلوت والبذاءة والغلِّ على كافة المسلمين ، لأنَّهم لا يرون رأيه ، ولا يؤمنون بدَعْوته أو ادِّعَاءاته ، وهو يعني بخاصَّة السَّادة الشرعيين من الصُّوفية الأبرار ، رضي الله عنهم جميعاً .

هذا الطوفان الذي يزجيه ويدفعه قوم لا هَمَّ لهم إلا العمل على السِّيادة على المسلمين وفرض سلطتهم وسيطرتهم عليهم ، بداية بالعقيدة ودعاوى الانفراد بالتوحيد وخدمة السُّنَّة ، ومروراً بصور العمل الإسلامي العام ، وتَسَتُّراً وراء الخدمات الإسلامية المتمثلة في البنوك وفي المؤتمرات ، وفي إنشاء الجامعات والبعوث والإرساليات ، والإعانة على الدراسات التي يراد بها أن تكون مسامير لتثبيت فكرة السِّيادة والعُدْوان والتسلط على أهل القبلة بدعوى أن أهل القبلة كلهم الآن مشركون أو كافرون أو وثنيون أو مرتدون ، أو هم في أحسن الأحوال : فسقة فجرة مارقون .

ويعنون بخاصة أولئك الصوفية منهم كما قلت ، أي القوم الذين هم خاصَّة الخاصة من أهل « لا إله إلا الله » ، والذين يمثلون ثلث العالم الإسلامي على الأقل ، إن لم يكونوا نصفه أو أكثر من نصفه فعلاً وواقعاً أكيداً ، فليس من شبر من أرض في بلاد الإسلام إلا وفيه صوفيٌّ عابدٌ عاملٌ ، وتقيٌّ كريمٌ ، ولا شأن لنا هنا بالمتمصوفة الأدعياء المنحرفين ، إذ التصوف كما نعرفه : فقه وعبادة ، وخُلُق وعمل ، فهو فرض بالنصوص المحكمة من الكتاب والسُّنَّة .

(٣) الشباب المفتون :

ومن المؤسف والمحزن أنَّهم استقطبوا عدداً غير قليل من الشباب الإسلامي الساذج ، أو المُعَقَّد المتأزِّم ، أو الطَّيب القلب ، أو السطحي الفكر ، أو المحدود المعرفة ، ففتنوهم عن الجادة ، وأوحوا إليهم أنَّهم

السَّادة القادة ، وأنَّهم الفرقة النَّاجية ، بما قَدَّمُوا لهم من ثقافة الانغلاق والتحجُّر ، والرجعية والانقباض ، والتقطيب والعبوس والعجرفة ، وجمع الاهتمام في هيئات البدن والملبس ، والتَّخَلُّق بالكبر والحقد ولؤم التفكير وسوء الظن بخلق الله ، والغل على الذين آمنوا بلا تمييز مع الإكراه والإرهاب .

كما استغلوا حاجة بعضهم إلى المال فقدموه إليهم سحاً غدقاً ، وهو سحت حرام ، على مختلف صوره وأوضاعه ، وجعلوا منهم خميرة (عكننة) للمجتمع ، ومثار قلق للحكومات ، وسوطاً يلهب ظهور جماعة المسلمين ، فما تجد إرهابياً ، ولا متطرفاً ، ولا مخرباً ، ولا فتاناً ، ولا مفرقاً بين أهل القبلة إلا وهو منسوب إلى السَّلفية ، متخرج في مدارسها ، عبد لمشيئتها ، مندفع متهور ، سمج النفس ، ثقيل الظل ، يستحل دماء المسلمين وأعراضهم ، ويمزق جموعهم ، باسم التوحيد المظلوم ، والسَّلفية السياسية ، والسُّنَّة المفترى عليها . .

حتَّى فرقوا الأسرة الواحدة ، فاتَّهَم الولدُ والدَه بالكفر والشرك ، وعصت البنتُ أباها بدعوى أنه مبتدع فاسق ، وتركت المرأة زوجها ، وتزوجت من آخر دون أن تطلق من الأول بدعوى أنَّ زواجها الأول باطل ، لأنَّه من « كافر » لا يحل له زواج مسلمة (تأمل ! !) ، ولا قوة إلا بالله [1] .

---

(١) والذي يتابع الصحف السيارة وأجهزة الإعلام يجد من أمثلة هذه الحوادث الشيء الكثير ، وهي إن دلت فإنما تدل على فراغ روحي ، وخواء ثقافي ، وسطحية وجهل حتَّى بالمعلوم من الدين بالضرورة ، لا يعذر معه صاحبه بجهل .

(٤) من أين أتت الفتنة ؟ :

وبرغم روائح البترول والعمالة والثراء الوقح المشبوه ، والترف الخبيث من المال الحرام ، والسُّلوك الذي يعد خيانة مبرقعة للدِّين وللوطن ؛ فإنَّنَا نذكر حديثَ رسُول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، في الصحيحين ، أنَّ الرسُول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم استقبل مشرق المدينة المنورة فقال : « **إنَّ الفتنة هاهنا** » (١) .

وفي مسند الإمام أحمد ، عن ابن عمر أيضاً ، أنَّ الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم استقبل مطلع الشمس بالمدينة فقال : « **من هاهنا يطلع قرن الشيطان** » (٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، في الصحيحين ، قال صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **رأس الكفر نحو المشرق** » (٣) .

ومهما حاول بعضهم تأويل هذه الأحاديث وصرفها عن ظاهرها ، فإنَّها نصوصٌ صريحةٌ ، محكمةٌ واضحةٌ ، لا اجتهاد فيها ، ولا تأويل لها (٤) .

وربما شرح هذا الإجمال ما جاء في البخاري قال : دعا رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم فقال : « **اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا في شَامِنَا وفي يَمَنِنَا** »

---

(١) رواه البخاري (٣٢٧٩، ٣٥١١) ، ومسلم (٢٩٠٥) ، وغيرهما .

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢/ ١٨ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٥٠ ، ٧٢ ، ٧٣) .

(٣) رواه البخاري (٣٣٠١) ، ومسلم (٥٢) .

(٤) قال شيخنا رحمه الله : « كما فعل القصيمي وغيره في رسالته « مشكلات الحديث » فزادها إشكالاً وعنصرية وفتنة بالغة » .

(ثلاثاً) ، قالوا : وفي نجدنا ؟ قال صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **هناك الزلازل والفتن ، وبها يطلع قرن الشيطان** »[1] .

فمن ذا الذي نصدقه الآن : هؤلاء بإفكهم أم الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم بصدقه ؟! ، وهذه هي الفتن تُصَدَّر إلى العالم الإسلامي محجبةً تارةً وصريحةً أخرى من هذا الجانب ، باسم التوحيد والسَّلفية إلى كافة بلاد الإسلام يدعمها المال والجاه .

يجب أن يفرق هؤلاء بين الفرائض والسنن ، ويجب ألا ينقلوا حكم الفرض إلى حكم السُّنَّة ، ويجب أن يتأكدوا بأنَّ المُسْلم له كلُّ الخيار في التزام السُّنن .

ثُمَّ هل هناك فتنة فوق القول بأن كلَّ أهل القبلة - مشرقاً ومغرباً ، وشمالاً وجنوباً - مشركون كفرة بسبب زيارة الموتى ، أو الدعاء بالوسيلة المشروعة ، بالنَّص القرآني المحكم ، أو بالصَّلاة في المساجد ذات ما يسمَّى بالمحاريب (خطأً) ، أو المساجد الملحق بها بعض قبور الصَّالحين ، أو بدعاء نصف شعبان ، أو بقراءة البردة والدلائل ، أو التزام حب أهل البيت النبوي ، أو عدم توفير اللحية ، أو التعبد بترديد اسم الله ، أو التعبد بالأدعية والأحزاب والأوراد المأثورة عن كبار الصَّحابة والتَّابعين والأولياء ، وبخاصَّة عن العلماء الأتقياء ، ثُمَّ بقضايا خلافية فروعية ، الأمر فيها سهل ومتسع ، بحيث تنقطع لها النياط ، كمسألة السدل والقبض ، وأين وكيف

---

(١) رواه البخاري (١٠٣٧ ، ٧٠٩٤) ، وهو عند أحمد في المسند (٢/ ٩٠ ، ١١٨ ، ١٦٢) ، والترمذي في سننه (٥/ ٧٣٣) ، وغيرهم .

توضع اليدين عند القبض ؟! ، وعدد درجات المنبر ، وتجويف القبلة ، وكالصَّلاة على النَّبيِّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم بعد الأذان ، أو صلاة الركعتين قبل الجمعة ، أو قراءة القرآن قبل الجمعة أيضاً ، أو صلاة العيد في المساجد ، أو المصافحة عند الانصراف ، أو الأكل على المائدة ، أو تعليم المرأة ، أو الشراب في الكوب ، أو تبريد الماء بالثلج ، أو لبس النظارة وساعة اليد ، وهل تكون في اليد اليمنى أو اليسرى ، وهل يؤخذ في الصَّلاة بالتقويم الفلكي ، أو عدم لعق الأصابع ، أو ترك السِّواك والطِّيب ، أو الجهر بختام الصلاة ، أو القيام للقادم ، أو اكتفاء المرأة بالحجاب دون النقاب ، أو القول بحركة الأرض حول الشمس ، أو الرضا بالتصوير الفوتوغرافي ، أو قنوت الفجر ، أو حمل المسبحة . . بل لقد حرموا على النِّساء التَّحَلي بالذهب . . إلى أكوام من الخلافيات وصغار الفروع ، مما عَمَّ وغَمَّ وطَمَّ ، خصوصاً سنن العادات .

فذلك جميعاً عندهم بِدَعٌ وشرك وردة ، وخروج من دين الله تسقط به العدالة ، وتُطَلَّق به الزوجة ، ويُسْتَحَلُّ به الدم ، فلا ينفع معه عندهم صلاة ولا صوم ولا زكاة ولا حجٌّ ولا عمرة ، بينما رسولُ الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم يكذبهم ، كما جاء في حديث عقبة رضي الله عنه في الصحيحين ، قال صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **لَسْتُ أخَاف عليكم أن تُشْرِكُوا بَعْدي** (تأمل)، **ولكنِّي أخْشَى عليكم الدُّنْيَا أن تتنافسوا فيها فتهلكوا كما هَلَكَ مَنْ قَبْلكم** »[1] .

---

(١) رواه البخاري في ستة مواضع من صحيحه هي : (١٢٧٩، ٣٤٠١، ٣٨١٦، ٣٨٥٧، ٦٠٦٢، ٦٢١٨)، ورواه مسلم في صحيحه (٢٢٩٦)، وأحمد في مسنده =

وروى أحمد والحاكم وابن ماجه ، عن شَدَّاد بن أوس رضي الله عنه : قلتُ : يا رسول الله ! أتشرك أمتك من بعدك ؟ ، قال : « **نعم ، أَمَا أَنَّهُم لا يعبدون شَمْساً ولا قَمَراً ولا وَثَناً ولا حَجَراً** (تأمل ! !) ، **ولكنهم يُرَاءُونَ بأعْمَالهم** »[1] .

= (٤/ ١٤٩ ، ١٥٣) ، وابن حبان (٧/ ٤٧٢ بترتيب ابن بلبان) ، وأبويعلى في مسنده (٣/ ٢٨٦) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٤/ ١٤)، والطبراني في أكبر معاجمه (١٧/ ٢٧٩) ، وغيرهم .

وقد قامت قيامة بعضهم سامحه الله ، فكتب معترضاً يزعم أنَّ شيخنا رحمه الله يكذب على الله ورسوله بعزوه هذا الحديث إلى الصحيحين ، وأنَّ صحة هذا الحديث : « ما الفقر أخشى عليكم » ... إلخ ما قاله المعترض .

وأقول : إنَّ صاحبنا هذا - ككثير من أمثاله - قد أدخل نفسه فيما لا يحسن ، وتكلم فيما لم يعلم ، وليته إذ لم يعلم يسئل أهل هذا الشأن أو يسكت ، وقد تبين لك صحة عزو شيخنا رحمه الله ، وأنَّ ما ذكره من رواية الشيخين لهذا الحديث ، عن الصحابي الجليل عقبة بن عامر الجهني هو الصَّواب ، وما ذهب إليه المعترض من أن صحة الحديث : « ما الفقر أخشى عليكم » فذلك حديث آخر عن صحابي آخر ، وبذلك يتضح لك كيف اختلطت الأمور على المعترض سامحه الله .

ولا يتفيقهنَّ أحدٌ علينا فيزعم نسخاً أو يتكلف تأويلاً لحديث عقبة بن عامر الجهني ، فإنَّه من المحكمات الواضحات ، وقد كان قبيل انتقاله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم إلى الرفيق الأعلى ، وقد ذكر عُقْبَة رضي الله عنه أنَّه : « آخر ما رأى رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم على المنبر » ، كما نصَّت عليه رواية الإمام مسلم في صحيحه (٢٢٩٦) . ثُمَّ إنَّ أصل اعتراض المعترض إنما هو موجَّه إلى المعنى المستدل بحديث عقبة عليه ، وهو حفظ الله تعالى لهذه الأمة المحمدية من الكفر والشرك الأكبر ، وهذا المعنى أدلته كثيرة جداً ، والله تعالى من وراء القصد ، وهو أعلم بالصواب .

(١) رواه أحمد في مسنده (٤/ ١٢٣) ، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٦٦) ، وابن ماجه في سننه (٢/ ١٤٠٦) .

وأنت لا تجد رياءً في المظاهر البدنية ، ولا اهتماماً بالصور المظهرية ، كما تجد عند هؤلاء الذين يرمون غيرهم بالوثنية والشِّرك ، فمن ذا الذي نصدق إذن ؟!

أنصدق هؤلاء فيما ابتدعوا من تكفير للمسلمين وتبديعهم وتشريكهم ، واستحلال حرماتهم ، وإخراجهم من الملة ، أو الحكم عليهم بالنَّار ، كأنَّما هم أوصياء على الله فيما قَدَّر وقضى ، أم نصدق رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم الذي لا ينطق عن الهوى ؟ ، وقد أكَّدَ أنَّ الأُمَّة من بعده لن تعبد شمساً ولا قمراً ولا وثناً ، وإنَّمَا هو الرياء في الأعمال ، وهو معصية خفية (غالباً) .

وإنَّمَا أعلن بها هؤلاء القوم بما يخالفون به المجتمع في هيئاتهم ، وفي مظاهرهم وتصرفاتهم ، ومعاملاتهم الشاذَّة ، وحسب أحدهم جلباب قصير ضيق ، وطاقية مخرمة ساخرة ، وسروال طويل يظهر من تحت الجلباب ، ثُمَّ سواك ، وكتاب يطوي بين دفتيه الشذوذ والفتن والتخلف ، ثُمَّ إطلاق الشعر على القفا مشوشاً أو منسقاً في حلقات هازلة تداعب غطاء الرأس .

وقد شغلوا النَّاس بهذه التوافه الفرعية التي لا بُدَّ فيها من اختلاف وجهات النَّظَر عقلاً وشرعاً ، عما يحيط بالإسلام من الأخطار والأهوال التي يشيب لها الولدان ، ويَحْسَبُون أنَّهُم مُهْتَدون .

❊ ❊ ❊

(٥) الصحابة لم يكفروا الفرق الضالة :

وكيف يحكمون على مَنْ يخالف مذهبهم بالكفر والشرك والردَّة والبدعة ؟! ، ولو استطاعوا لقتلوه [١] شر قتلة !! ، وقَدْ عاب الصحابة والتابعون على سلف هؤلاء من الخوارج وأشياعهم ، أنَّهُم عَمَدُوا إلى الآيات التي نزلت في غير المسلمين ، فطبقوها تعسفاً وتعصباً وغلاً وتطرفاً على أهل لا إله إلا الله (كما نقله البخاري عن ابن عمر وغيره في باب الخوارج) لأنَّهم لم يقولوا بعد بقولهم، أو يجاروهم على انحرافهم وانجرافهم ، وقد زعموا أنَّنا نعيش اليوم جاهلية أنكر من الجاهلية الأولى (راجع أهل القبلة) .

ومع هذا نقول لهؤلاء (وهم أحفاد الخوارج ... بل هم أمعن في الغلِّ والجهل والتطرف والانحراف) : إنَّ أجدادكم أو أئمتكم السابقين قد كَفَّرُوا عثمان وعلياً ومُعَاوية ومَنْ معهم ، واستحلوا دماءهم وأموالهم وجعلوا بلاد المسلمين بلاد حرب - أي كُفْر - ، فاستباحوا فيها الدماء والأعراض والأموال كما تفعلون أنتم ، وزعموا أن علياً ومعاوية أشركوا بالله ، وطَبَّقُوا عموم الآيات التي نزلت في المشركين والكُفَّار على هؤلاء المسلمين كما قَدَّمنا ، ولا يزالون يفعلون ، وقد قال لهم عليٌّ رضي الله عنه : لا نبدؤكم بقتال ، ولا نمنعكم مساجد الله ، وهكذا لم يكفرهم عليٌّ الذي كَفَّرُوه ، ولا أحَدٌ من الصحابة ولا التَّابعون ، فكيف تحكمون أنتم على من لم يفعل شيئاً من ذلك بالكفر والشرك والوثنية والردَّة والزندقة ؟! .

---

(١) قال شيخنا رحمه الله : « كما فعلوا بالشيخ الذَّهبي وأنور السادات ، وكما قتلوا علياً من قبل وغيره ممن لم يقل بأقوالهم الشائهة » .

(٦) القدرية والجبرية والمرجئة وغلاة المعتزلة :

بل لم يكفر الصحابة « القدرية » الذين قالوا : إنَّ الله لم يُقَدِّر – ولا يَقْدِرُ – على تقدير الهُدَى أو الضَّلال على أحد ، بل قالوا : إنَّ الإنسان يخلِق عمل نفسه لنفسه بنفسه . . هدايةً أو ضلالاً .

ولم يكفر الصحابة الفرِق التي زَعَمَتْ منهم أنَّ الله أجبر الخلق وأكرههم على ما هم عليه ، وأنَّ الكفر والإيمان والطاعة والمعصية في النَّاس كالبياض والسَّواد والطول والقصر في خلقة الآدمي ، ما للمخلوق في ذلك صنع ولا يد .

بل إنَّه لما قُتِل إمامهم غُسِّلَ وكُفِّن وصلى عليه ودفن في مقابر المسلمين .

ولم يكفر التابعون أحداً من المعتزلة الذين قالوا بخلق القرآن ، وأن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين فلا هو مسلم ولا هو كافر ، بل هو خالد في النَّار ، وأنَّ الله لا يخلق ولا يُقَدِّر على العباد الذنب أو المعصية ، بل العبد يخلقها ويقترفها ، وأنَّ الله لم يتكلم ، وأنَّ القرآن ليس بكلام الله ، بل هو خلق مما خلق الله ، فليس لله كلام عندهم .

ولم يكفروا المرجئة الذين قالوا : إن الإيمان قولٌ بلا عمل ، فمن أَقَرَّ بالشهادتين فهو كامل الإيمان ، وإن لم يُصَلِّ طول عمره ركعةً واحدةً ، أو لم يقم بطاعة واحدة ، بل هو عندهم في مقام جبريل ، وفي منزلة الأنبياء والمرسلين سواءً بسواء .

ولم يكفروا الجهمية الذين يقولون : ليس على العرش إله يعبد ، وليس في الأرض كتب لله ، ولا ألواحٌ ، ولا كلامٌ ، وينكرون المعراج

نهائياً ، كما ينكرون صفات الله التي جاءت في القرآن ، حتَّى قال فيهم ابن المبارك : « إنَّا لنحكي قول اليهود ، ولا نحكي قول الجهمية » ، ومع هذا عندما قتل زعيمهم (الجهم بن صفوان) ، ووزيره (الجعد بن درهم) غَسَّلُوهم وكَفَّنوهم وصَلُّوا عليهم ودفنوهم في مقابر المسلمين ، ولم يجروا عليهم حكم الردَّة ولا الزندقة ولا الكفر أو الشرك أو الوثنية ، مع أنَّ هؤلاء وسابقوهم هم أصول الفرق الاثنتين والسبعين التي جاءت في الحديث المشهور إنْ كان صحيحاً [1] .

وقد نقل ابن تيمية أنَّ الإمام أحمد بن حنبل لم يكَفِّر أهل هذه الفرق ، بل صَلَّى « أحمد » رضي الله عنه خلف بعض الجهمية وبعض القدرية ، وإنَّ أكبر ما توصف به كل تلك الفرق عند ابن تيمية هو الفسق (اقرأ نصوص كلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم فيما سَجَّلناه فى رسالة « أهل القبلة كلهم موحدون ») .

---

(١) الثابت من هذا الحديث هو ما يدل على افتراق اليهود على إحدى وسبعين فرقة، والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وهذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة . أمَّا زيادة « كلها في النار إلا واحدة » ، وزيادة « كلها في الجنة إلا واحدة » فللعلماء فيهما كلام من حيث الثبوت ، وما المراد بالأمة ؟ هل هي أمة الإجابة أو أمة الدعوة ؟ ومن هي الفرقة الناجية ؟ في كل ذلك عدة معاني ، وقد فصل الكلام على هذا الحديث الإمام الشاطبي في الاعتصام ، والكوثري في مقدمته على كتاب التبصير، وراجع كتاب أهل القبلة لشيخنا الإمام الرائد رحمه الله تعالى ففيه حول حديث الافتراق وفتن الاختلاف والجماعات كلام دقيق . قال شيخنا رحمه الله : « وكانت أشد أيام هذه الفتن في عهد المأمون والمعتصم والواثق من الدولة العباسية ، وقد تفرع منها في مصر جماعة التكفير والهجرة ، والنَّاجون من النَّار ، والتبين والتوقف ... إلخ هذه الأرهاط المسماة بالجماعات الإسلامية » . اهـ

(٧) السفاهة وشغل الأمة عن الأخطار :

إنَّ مما يتألم له المسلمون العقلاء ، وأهل الفضل ، أنَّ هؤلاء النَّفَر من خلق الله لم يتركوا قط عالماً ولا إماماً مسلماً من غيرهم ، سلفاً أو خلفاً ، إلا أكلوا لحمه ، حياً كان أو ميتاً ، ولم يتركوا سلطاناً ، ولا ملكاً ، ولا رئيساً ، سابقاً أو لاحقاً ، إلا مَزَّقُوا دينه وسمعته ، وصَبُّوا على رأسه من عذاب الحميم ، ولم يتركوا وليًّا لله إلا وصموه بكُلِّ نقيصة ، حقداً وغلاً وزوراً ، وأشاعوا من حوله كل مثلبة ، سواء كان سابقاً أو معاصراً .

وقد حكموا بالكفر والشرك والتبديع والفسق على كُلِّ من لم يكن منهم ، وعلى من لم يقل بقولهم في غيرهم بالكفر والشرك وبالنَّار بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير ، وبلا عقل ولا منطق ، وبلا حياء ولا تورع ولا احتياط ، بل لمجرد أنَّه ليس منهم ، حتَّى أعدموا تاريخ المسلمين .

وأعجب العجب أنْ يشغلوا النَّاس بهذه الفروعيات الخلافية التي ستبقى إلى يوم القيامة) ، والتي فرغ علماء المسلمين من تقرير أحكامها منذ قرون مضت ، ليصرفوا الأمَّة الإسلامية عن أخطارها الكبرى ، وعَمَّا تعانيه من كوارث الحروب الداخلية والخارجية ، وعن مخاطر التمزق والتفرق ، ومشاكل الصهيونية والاستعمار ، وفواجع الغلاء والاقتصاد والتمويل ، والبطالة والتسول والديون ، ومآسى الأخلاق المهدورة والمتدهورة ، وفضائح ما يُسَمَّى بالفنون الحديثة ، وبخاصَّة الرقص بأنواعه والتمثيل الداعر ، مع ما تبثُّه هذه الفنون من إباحية وعلمانية وإلحاد ، وفاشية ووجودية ونازيَّة وماسُونية ، ثُمَّ من التدهور الإنسانى الرهيب بما

تقدمه وسائل الإعلام والإعلان في السينما والمسرح والتليفزيون والإذاعة والفيديو والكاسيت والصحف والمجلات المختلفة .

وقد عمي هؤلاء عن بلاء الإسكان والفقر والمرض والأمية الثقافية والدينية والسلوكية ، بالإضافة إلى خبائث المخدِّرَات والخمور والانحلال الفاضح في الكباريهات وعلب الليل ، واتساع فساد الرشاوى والاحتيال ، وخراب الذمم ، وضياع الأمانة ، والاختلاط المأساوي المرير في الجامعات والمدارس وما جَرَّه ويجرُّه من ويلات ، ذلك إلى مشاكل المواصلات ، وجيوب المجتمع ، ومعايب المصانع والمشافي ودواوين الأعمال الخاصة والعامة وغيرها ، إضافة إلى التسيب واللامبالاة . .

كلُّ ذلك عندهم هين مباح أو هو تافه بالقياس إلى جريمة ترك السواك ، أو عدم لبس (الطواقي) المخرمة ، أو عدم حمل زجاجات زيت الصندل ، أو ارتداء الملابس (الهندية) ، أو الجلابيب السَّلفية القصار الضيقة ، أو عدم ترك شعر القفا يستدير على غطاء الرأس ، أو الشرب واقفاً ، أو البول كذلك واقفاً ؛ فهذه كوارث عندهم .

(٨) طائفة أخرى من التوافه المؤسفة :

ثُمَّ تزلزل الأرض زلزالها حول حكم أولوية التزام المرأة للحجاب الكاشف عن الوجه واليدين ، أو النقاب الذي تبدو فيه المرأة كالشبح المسخوط !! ، ثُمَّ تقوم وتقعد حول حكم خطورة مصافحة المرأة والسلام عليها ، والحديث الضروري إليها ، وهل يجوز لها الذهاب إلى المساجد وتلقِّي الدروس الدينية ؟! وهل يباح خروجها للأسواق وكسب المعاش ؟! وهل يجوز لها أن تتكلم فضلاً عن أن تضحك ؟! وهل يجوز أن تزور أهلها ؟!

أو هل يجوز لهم أن يزوروها ؟! وهل من حَقِّها أن تفتح الشباك؟! أو تمشي في الشارع تحمل ولدها إلى المستشفي ؟! أو تحمل حقيبتها إلى السوق لتشتري الضروريات ؟! وهل يجوز للمرأة أن تتحلى بالذهب ؟! .

ثُمَّ : هل تصح الصلاة خلف الحليق ؟! أو الجلوس إلى الذَّاكرين من الصوفية الراشدين ؟! أو زيارة مشاهد أهل البيت النبوي أو أولياء الله الصالحين ؟! وهل حديث الذبابة صحيح وما جزاء تاركه ؟! ... إلى غير هذه الغموم والأفكار التي لا تدل إلا على الجمود والخمول والخمود ، بل على الاستغلاق والحمق الأكبر والانفصام العجيب عن الواقع وويلاته ، والجهلوت الفاضح في أمور يمكن علاجها بالحكمة والإرشاد المهذب ، والكلمة الطيبة ، والمعاملة الإسلامية الكريمة – مع التدرج – بالحكمة وبعد النظر .

ثُمَّ لا تسمع لهم صوتاً ضد توحش الاستشراق ، والاستغراب ، والتبشير ، والاستعمار بأنواعه ، والصهيونية ، والماسونية بأسمائها الجديدة كالليونيز والروتاري ، وكل الأسماء الأجنبية للتشكيلات المشبوهة التي تستقطب كبار النَّاس غفلةً أو جهلاً .

وإذا فتح الله على واحد منهم واشترى كتاباً لابن حزم ، أو الشوكاني ، أو ابن القيم ، أو ابن تيمية ، أو الصنعاني – فهم لا يؤمنون بغير هؤلاء من علماء السلف أو الخلف إلا من كان من علماء بلاد البترول المعاصرين أو علماء البنوك والمؤسسات المُحْدَثِين[1] – فهو يتأبَّط كتابه هذا متجهماً

(١) قال شيخنا رحمه الله : « من علماء البترول والبنوك أئمَّة لم يغيرهم الذهب الأسود ، ولم يوجه ولاءهم ولا انتماءهم إلى غير وطنهم الأصيل ودينهم الصحيح ، ولكنَّهم قلة نادرة » . اهـ

عَبُوساً قمطريراً ، مقطب الوجه ، مجعد الجبين ، متكبراً ، زائغ البصر ، كالباحث عن قاتل أبيه ، قد استبدَّ به الحقد على النَّاس كأنَّهم كلهم عدو له ، وقد أكل قلبه الغل منهم ، فهو يزعم أنَّه إمام الثَّقلين ، وعالم الخافقين ، بما يحمل من هذه الكتب ، ولا علم لأحد من أئمة السلف والخلف سواه مهما علا قدره ، وارتفع ذكره ، ولا فتوى إلا له ، وإلا لسيده وأميره الرابض على فوهات آبار الذهب الأسود ، أو ما كان لعملائه وعبيده هنا ، فهو يفتي بما أفتى به سيده هناك ، فيكفِّر مثلاً من يقول أن الأرض كروية ، أو أنَّها تدور حول الشمس (في عصر مراكب الفضاء والصواريخ الموجَّهة) ، ويكفر من يقول بحل التصوير الفوتوغرافي ، أو بجواز قصد زيارة الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، أو بأن المطر ينزل من السحاب لا من السماء .

فلو أجمع كل علماء المسلمين على رأيٍ لم يقل به سيده وأميره أو عميله النفطي البترولي ، فهو هنا رجسٌ من عمل الشيطان ، وفتنةٌ في الأرض وفساد كبير ؛ فماذا بعد كل هذا الهراء المحزن المخزي ؟ وإلى أين يا سلفية البترول والنفط والذهب الأسود ؟! .

(٩) المسلمون والإسلاميون :

ثُمَّ إنَّ مما تتفتت له الأكباد أن يبتدع هؤلاء أخيراً بدعة محزنة تضاعف تمزيق صف أهل القبلة بعد أن قسَّمُوهم إلى عرب وعجم ، وتعصَّبوا بجنون للعروبة حتَّى كأنَّ المسلم هو العربي ليس إلاَّ ، فابتدعوا القول بأن أهل (لا إله إلا الله) عموماً مسلمون ، أمَّا هم فـ « إسلاميون » ، ونشروها عملياً في صحفهم وأحاديثهم وطَبَّقُوها على ما أفتى به علماء البنوك ومشاهير (دلاديل) بلاد البترول ، ولا قوة إلا بالله .

(١٠) الفَرْق العلمي بين الكفر العملي والاعتقادي :

برغم ما حَقَّقْناه في فصول رسالة « أهل القبلة » نحبُّ أن نوجه عناية الأخوة القارئين الصَّالحين إلى أنَّه عندما يذكر الحديث النبوي لفظ « الكفر » أو « الشرك » كأثر لمعصية أو خطيئة ؛ فإنَّه لا يراد به أبداً الردَّة أو البراءة من دين الله ، لا ، لا . . وألف مرة لا ، ولكن يراد به علمياً وفقهياً وعقلياً وجماعياً أنَّ من عمل كذا أو قال كذا أو كذا فقد أشرك أو كفر ، يعني قلد المشركين والكفرة في بعض أقوالهم أو بعض أعمالهم ، أي أنَّه عصى أو خالف أو تهاون أو تجاوز ، ليس إلاَّ ، بحسب واقع الأمر ، وهذا هو ما يسميه العلماء بالكفر أو الشرك العملي ، لا كفر الإيمان أو شرك العقائد والتوحيد ، عياذاً بالله .

يجب أن يكون هذا مفهوماً عن يقين ، ومعلوماً مذاعاً على النَّاس ، وإلاَّ فلم يبق على وجه الأرض الآن مسلم ، فإنَّه لا يكاد أن يبقى شيء لم يقلد فيه المسلمون غيرهم إلا العقائد والعبادات وبعض الأخلاق ، فإنَّ الطوفان الحضاري المعاصر لم يبق شيئاً إلا خالطه ، سواء كان حسياً أو معنوياً ، والتخلص من ذلك أمر مستحيل تماماً على العالم والجاهل والسلفي والخلفي جميعاً ، وقانا الله نكارة الجهل بالعلم ، وحقارة العلم بالجهل القبيح .

وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا** ﴾ .

اللهُمَّ إنِّي أستغفرك وأتوبُ إليك ، ممَّا جرى به قلمي غيرةً على

دينك ، ومحبةً في رسولك وأتباعه من أهل الله الصَّالحين ، وكشفاً للمحجوب من الأمور عن كثير من خلق الله .

اللهُمَّ إنَّك تعلم أنِّي أريد بكل ذلك وجهك الكريم ، فتقبل منِّي يا سميع يا عليم ، واغفر لي يا غفور يا رحيم، ما سبق به قلمي أو انفعلت به .

اللهُمَّ إنَّك تعلم أنني مريض معتكف بداري ، لا أبغي من النَّاس جزاءً ولا شكوراً ، ولا أبغي بقولي وعملي إلا رضاك وحسن الخاتمة ، فيسر لي ذلك بفضلك إنَّك على كل شيء قدير .

❋ ❋ ❋

تنبيه لا بد منه

نرجو أن يكون من المعلوم الذي لا شَكَّ فيه أنَّنَا بما كتبنا هنا ، وبما سبق أنْ كتبنا ، وبما نطمع أنْ نكتب ، لا نريد أبدًا شخصًا معينًا ، ولا جماعة محددة .

وإنَّمَا نكتب تسجيلاً لما نراه صوابًا في اجتهادنا عن المبدأ أو المذهب أو الرأى أو الإتجاه من حيث هو ، لا من حيث العاملين به ، أو محبيه ، أو القَوَّامين عليه، وليس في اعتبارنا الأشخاص أبدًا ، ولكن الدعوة والرأي والمبدأ والمذهب لا غير .

مَنْ هُمْ أهل السُّنَّة ؟ !
ومَنْ هُمْ أهل اللحية ؟ !

فرق كبير بين أهل السُّنَّة وأهل اللحية ! :

هذا السؤال وجه إليَّ عدة مرات ، وأحسست مع تكرار السؤال بخطورة سوء الفهم الذي أشاعته الطائفة المقيتة حوله أو حولنا ، فكان لابد من لمسة عاجلة نسجل فيها مفهوم أهل العلم وجمهور عقلاء المسلمين في هذا الموضوع ، رغم ما أعرف من شدَّة حساسيته ، وما يمكن أن يكون من ورائه **!!** .

والسُّنَّة في اصطلاح علماء الدين هي : قول النبيِّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، أو عمله ، أو إقراره ؛ فهي شعب ثلاث ، من عمل بإحداها – ولو مرة واحدة من عمره – أصبح من أهل السُّنَّة ، والمرء مختارٌ تماماً في سنن العادة بصفة خاصَّة ، هذا هو مقرر علم الأصُول .

ومعنى هذا أن كلَّ من آمن بصاحب السُّنَّة صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم فهو من أهل السُّنَّة ، وإنْ قَصَّرَ في التنفيذ والالتزام ، فكُلُّ مُسْلم هو من أهل السُّنَّة ، بقدر ما التزم وأدَّى ، فليست المفاضلة إلا في محاولة تحصيل الأجر ، بمحاولة المحافظة على ما يتيسر لكل إنسان من العلم والتطبيق والالتزام .

أمَّا تخصيص النسبة إلى السُّنَّة بنفر معين ممن وفقهم الله تعالى إلى

إعفاء اللحى ، فهو (إطلاق عامي)، أو (اصطلاح عصبي طائفي مبتدع)، لا علاقة له بأصول علوم الدِّين على الإطلاق ، ولا حتَّى بهوامش علم المجتمع ، وإنَّما هو من خصائص علم النفس العلاجي .

ثُمَّ كيف يتخذ هذا المظهر بالذات مؤشراً خاصاً على اتباع السُّنَّة ، ونحن نرى أكثرية كاثرة من (الفلاسفة) المنحرفين ، وكذلك ممن يسمونهم (الفنَّانين) على اختلاف لون الفن وصورته وحقيقته السوية والغوية [(١)] ، ثُمَّ مَنْ يسمونهم (الهيبز) ، ومَنْ يسمونهم (الخنافس) ، ثُمَّ أصحاب ديانات (السيخ ، والهندوك ، والبراهما ، واللاما ، والبوذيين) ، وكذلك مئات من ملايين البدو التي لم تصلها دعوة الدِّين في أفريقيا وأستراليا والشرق الأقصى وغيره ، كلُّ أولئك يعفون لحاهم ، وقد يهتمون بتصفيفها وترجيلها أضعاف ما كان يعمله اليونان والرومان ؛ فهل يقال إنَّ هؤلاء هم أهل السُّنَّة .

كما أنَّ جميع رجال الأديان والمذاهب المسيحية واليهودية يرخون اللحى ، فكيف يكون إعفاء اللحى بعد كُلِّ هذا علامة مميزة للمسلم ؟ بل للمسلم من أهل السُّنَّة بخصوصه ؟! .

أيُّها النَّاس : شيئاً من العقل والعلم والحياء ... !! .

ما من شك أبداً في أن إعفاء اللحى سُنَّة نبوية لا خلاف عليها قولاً وعملاً وإقراراً ، والموفق إلى القيام بحقِّها اليوم بطل جدير حقَّاً بالتقدير

---

(١) ومنهم الرَّقاصون ، والمغنون ، والطبَّالون ، والزمَّارون ، والممثلون ، والإباحيون ، والبوهيميون ، والملحدون ، والسكارى .

والتوقير ، وهي سُنَّة عادة فقط (وحساب نيته على الله) ، ولكن ليس معنى هذا أنَّ الذي لم يوفق إلى إعفائها قد شطب اسمه من ديوان الإسلام حتَّى تكون السُّنَّة كل السُّنَّة هي مجرد إعفاء اللحية ، وإن اختفى من ورائها إبليس وقبيله من نحو : ماركس ، وانجلز ، وراسبوتين .

في الحديث الثابت - بألفاظ مختلفة وروايات متعددة - أنَّ رجلاً سأل رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم عمَّا يجب الارتباط به من أمر الدِّين بعد الشهادتين ، فذكر له الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم الصلوات الخمس ، وصيام رمضان ، وإخراج الزكاة ، والحج إلا أن يتطوع (أي أنَّه مخيَّر في أن يأتي بالسنن بعد الإتيان بهذه الفروض) ، فانطلق الرجل وهو يقول : والله لا أزيد عليها ؛ فكان التعقيب النبوي السمح على ذلك قوله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **مَنْ سَرَّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا** »[1] ، أو « **أَفْلَحَ إنْ صَدَقَ** »[2] على ما ذكرته الروايات .

فهل هذا الذي أقسم لرسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم أنَّه لن يزيد شيئاً من السنن على ما فرض الله ، لا يعتبر من أهل السُّنَّة ؟ مع أنَّه صَرَّح بأنَّه لن يزيد شيئاً عن الفرض من السنن التعبدية ، فكيف بالسنن غير التعبدية ؟! كاللحية المشتركة بين المسلم وغيره ، وبين الطيب والخبيث .

إنَّ الإيمان بالسُّنَّة شيء ، والتقصير في عملها شيء آخر ، هذا هو منطق العلم الحاسم .

---

(١) رواه البخاري (١٣٩٧) ، ومسلم (١٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه مسلم (١١) عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه .

إنَّ التزام المسلم السنن التعبدية - وهي شَتَّى متكاثرة - أجدى عليه من الظهور بسُنَّة اللحية ، وهي ليست شرطاً في صحة الدِّين ، ولا في صحة العبادة ، ولا شرطاً في صحة الخُلُق ، ولا شرطاً في صحة الحياة ، ولا في صحة العلم أو العقل ، إنَّهَا سُنَّة عادة وكفى!! تُحتَرم ولكن لا تأخذ حكم الفرض أبداً .

إنَّ إعفاء اللحية من سُنن الفطرة كما ذكرها الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم دون مفاضلة ، ومن سُنن الفطرة : قص الأظافر ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ، فمن قال إنَّها من سُنن العبادة خالف رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم . فهي سُنَّة عادة كما قَدَّمنا ، كما أفتى بهذا الشيخ شلتوت ، ونقله عنه رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشيخ المشد ، ونشرته الصحف .

ثُمَّ إنَّ صاحب اللحية - ما لم يعصمه الله - قد يدخل بها في متاهات من معاصي القلوب ، والاستشراف على مهاوي الرياء وتزكية النفس ، واحتقار النَّاس ، وتربية الغل في قلبه لبقية المسلمين غير الملتحين!! ممَّا لا نزال نعاني منه ألعن المعاناة في شأن الدنيا والدِّين حتَّى كأنَّ الدِّين هو إعفاء اللحية ليس إلاَّ عند هؤلاء النَّاس !! .

إنَّ أكثر من تسعة أعشار (علماء الأزهر الشريف وعمداء كلياته وكبار أساتذته) اليوم لا يعفُون اللحى ، ولا يستطيع أحد أن يقدح في علمهم ، ولا خلقهم ، ولا عقيدتهم ، وهم لا ينكرون الإعفاء أبداً ، بل يتمنونه عندما يشعرون أنَّهم قد أصبحوا أهلاً له ، وعندما يكونون قد قاموا بجميع سنن العبادة ، وجميع سنن الآداب ، وسنن العادة ، حتَّى يكون إعفاء

اللحية إكمالاً للصورة الدينية وختماً عليها ، لا أن يكون فضيحة لها ، وستاراً على ركام من الحمق والغل ، والجهل والعصبية المدمرة ، كما نرى الآن .

نعم نحن نأخذ ديننا عن سيدنا رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، لا عن علماء الأزهر ، ولكن كثرة هؤلاء العلماء وتمكنهم ، جعل لهم تقديرهم العلمي ، وتوقيرهم الذاتي ، وحجيتهم في مسائل الدِّين ، وهم يعلمون أن مسألة إعفاء اللحى ليست من أمهات مسائل الدِّين عموماً ، ولا أمهات مسائل السُّنَّة خصوصاً ، فهي سُنَّة كريمة لا مرية فيها ، ولكنها لا ترتبط أبداً بأصول الاعتقاد ، ولا بحقائق العبادة ، ولا بقواعد المعاملة ، إنَّما هي نوع من طلب الكمال الاختياري العادي لا شَكَّ في ذلك .

نحن نعرف ماذا قال السلف والخلف - بحمد الله - في شئون السُّنَّة وأقسامها ومراتبها ، بين دعاوى الوجوب والندب والاستحباب ، خصوصاً وعموماً ، فلسنا في حاجة إلى حمق الحمقى ، ولا إلى تهور المتهورين ، ولا إلى العناية بالسباب والشتم الذي ننتظره ، ونعرف أنَّه حيلة مَنْ لا حيلة لهم من علم يُحْترم ، أو دين يُقَدَّس ، وخصوصاً هؤلاء الذين جعلوها وسيلة تسول لتحقيق الفاني من عَرَض الدُّنيا ، واستجلاب حمد النَّاس ، وقضاء المصالح ، والمراءاة .

ونحن نعرف حساسية هذا الموضوع ودقته تماماً ، ولكنَّنَا لا نستطيع أن نقبل إخراج (٩٩٪) من المسلمين من دين الله ، بسبب عدم إرخاء اللحى ،

أو أن يسود الاعتقاد بأنَّ أهل السُّنَّة هم فقط أهل اللحى كيفما كانوا !! سفلاً أو علواً !! ومنهم مَنْ لا خلق له ولا دين .

إنَّ الإسلام :

١ - عقيدة ،

٢ - ثُمَّ : عبادة ،

٣ - ثُمَّ : أدب ،

٤ - ثُمَّ : معاملة ،

٥ - ثُمَّ أخيراً : مظهر وعادة ، لا ارتباط لهما بعقيدة ولا عبادة ، والعادات تختلف وتتطور بحكم الحياة .

وقد سئل رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : أين التقوى ؟! فأشار إلى صدره ثلاثاً ، وهو يقول : « **التقوى هاهنا** » [1] ، ولم يشر إطلاقاً إلى عضو آخر !! .

ثُمَّ إنَّ أحاديث الإخلاص وصدق النية ، هي الأصل الأول في دين الله ، وإلا كان من أهل الجنة كل من أرخى لحيته من غير المسلمين وزعماء الفسق والزندقة والشيوعية ورجال الدعارة والكهنوت من كل دين آخر مادام قد وفر اللحية .

لقد أسَرَّ بعض السائلين في أذني : هل حقيقة أنَّ اللحية مفتاح الجنة ؟! ، فمهما عمل المسلم من عمل صالح ، ولا لحية له ، فهو من

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤) .

أهل النَّار ؟! فإنَّ بعض الجمعيات والأحزاب لا تعترف بإسلام المسلم إلا إذا أطلق اللحية مما تدور له الرءوس !! .

أفكل هذه الموبقات العقائدية والأخلاقية والإعلامية المسموعة والمقروءة والمنظورة وغيرها ، لا تُذْكَر ولا تُكَافح ، ولا يدخل بها النَّار أحد ، إلا من أرجأ إعفاء اللحية ، أو لم يعتصم بهذه الحاشيات من العادات التي كانت من ضروريات حياة العرب ومواريث عاداتهم في ذلكم الوقت لأسباب وأسباب .

إذا أراد رجل بالنَّاس أن يستمسكوا بسُنن العادات فليأخذها كُلاًّ لا يتجزأ ، في المسكن ، والمطعم ، والملبس ، والمقام ، والمركب ، والمظهر ، والعمل ، والمعاملة ، والمحادثة ، وجميع مطالب الحياة . ضبطاً بضبط ، وتماماً بتمام ، أمَّا أن يأخذ البعض كاللحية ، ويدع البعض بغير ما تعليل ولا فقه (كما هو شأن هؤلاء النَّاس) فقولٌ مردودٌ مرفوضٌ !! .

مَنْ تمسك بسُنَّة العادة في إعفاء اللحية وجعلها فرضاً ، ونقل إليها حكم الوجوب يجب أن يركب الحمار ولا يركب السيارة ، ويجب أن يجلس على فراش من الأدم حشوه ليف ، ويجب ألا يستعمل الملعقة في طعامه ، ويجب ألا يلبس النظارة ، أو يسكن العمارة ، أو يركب المصعد ، أو ينتفع بالثلاجة والغسالة والموقد ، وألا يزيد على أنواع الطعام التي كانت معروفة للعهد النبوي ، وأن يطهوها في فخار على نار خشب الشجر ... وأن ... وأن ... إلخ ، من العادات التي لا تحصى لهذا العهد ، وبهذا يكون قد التزم سنن العادة كلها مشكوراً .

أمَّا أنْ يأخذ شيئاً ثُمَّ يوجبه على النَّاس ، ويدع شيئاً مثله تماماً فمنطق باطل ، وتدين منقوص .

إنَّ أقصى ما قرره علماء الأصول وغيرهم وسجَّلُوه في كتبهم هو أن مَنْ فعل السُّنَّة - سواء كانت سُنَّة عبادة أو سُنَّة عادة - فقد حصل أجرها ، ومَنْ تركها غير هازىء ولا جاحد فقد فاته أجرها .

أمَّا مسألة العتاب ، فلم تصح لا عقلاً ولا نقلاً .

وأخيراً ، فنحن لا ننكر أبداً إعفاء اللحى ، ولله الحمد ، بل نرجوه ونتمناه ، على الوجه الذي فهمناه وقَدَّمناه ، أمَّا الإعفاء - مجرد الإعفاء - فأمر ليس هو كُلُّ السُّنَّة ، ولا هو كُلُّ الدِّين ، وهو لا يغني بذاته عن أصل ولا عن فرع تعبدي أو اعتقادي ، لا في سُنَّة ولا فرض ، ولا في الدِّين جميعاً .

ولن يسألنا الله عن انتشار اللحى قبل أن يسألنا عن تمزق الصَّفِّ الإسلامي وعن تضييع الأصول ، وتخريب العبادات والعقائد ، والعمى عن مكافحة هذه الكبائر الموبقة ، متوطنةً أو وافدةً ، فكريةً أو عمليةً ، ولسوف يسألنا الله عن إهدار أوقاتنا في هذا التلاحي الذي لا يأتي بخير ، وإنَّما هو تمزيق للأمة ، وتشتيت للشمل ، وتدمير داخلي للبناء الإسلامي المقدس ، ويا ليتنا مع ذلك نسلم !! .

* * *

مع أهل السُّنَّة أيضاً
فرقاً بين أهل السُّنَّة وأهل اللحية !!

لقد كتبنا من قبل عن « من هم أهل السُّنَّة ؟ » ، تحت ضغط قاومناه سنين طويلة ، وصبرنا عليه صبر أولي العزم ، ولولا ظهور خطورة الانحراف في الفهم ، والإمعان في سوء الظنِّ بالنَّاس ، حتَّى أوشك أن يكون عقيدة ، ما ناقشنا هذا الموضوع من قريب ولا من بعيد ، فنحن ندرك مدى حساسيته ، ونعلم أنَّ من تعرض له فقد اسْتَهْدَفَ أكثر ما استهدف للحمق والعصبية ، والانفعال الجامح ، وبخاصَّة عندما يجتمع الحمق مع الغلِّ على أهل القبلة ، في قلبٍ مستغلقٍ مُعَمًّى عليه .

لقد كان في ما كتبنا من قبل كفاية ما بعدها مزيد لمستزيد ، إذا تحقَّق التجرد ، وصدق القصد ، ولكن !!.

والذي نحب أن نقرره هنا أشياء ، نرجو أن تكون فيصلاً في الموضوع لمن كتبوا إلينا ، أو مَنْ حَدَّثونا ، ومَنْ أثاروا الدُّنيا وأقعدوها خطابة ومحاضرة ، ومن يُنتظر أن يملأوا صفحات مجلاتهم بسواد التهويل وظلمة الفهم ، ودخان العصبية القاتل ، بعيداً عن أصول العلم ، وقواعد الدِّين ، ومُسَلَّمَات الآداب ، وحتمية ملابسات الحياة .

ولهذا نقرر بملء اليقين :

أولاً : أنَّ أهل السُّنَّة هم أهل القبلة ، ومن عمل بسُّنَّة ولو مرة في عمره فهو من أهلها كما هو مقرر في علم الأصول ، أمَّا محاولة اختصاص نفر بهذا الوصف لأمر ما وحدهم ، فإنَّما هو اعتبار عامي ، أو اصطلاح طائفي مذهبي ، لا ارتباط له بموازين العلم ولا الشريعة .

ثانياً : اتخاذ إعفاء اللحية وحده دلالة على السُّنِّية خطأ شرعي وعقلي وعلمي وواقعي بغيض ، فهي ليست شعاراً مخصوصاً بشخصٍ أو دين أو مذهب أو فن أو فكرة ، إنَّما هي مظهر مشاع لمن شاء من اليهود والنصارى والهندوك والسِّيخ والبوذيين والهيبز والخنافس ، وفلاسفة الإلحاد واللادينية ، وأهل الفن التشكيلي ، والفن النظري ، وبدو الصحاري الذين لم تبلغهم الدعوة ، وحملة بقايا اللحى الترفيهية والإعلامية المستحدثة ... إلخ .

فإنَّه من رابع المستحيلات أن يُعَدَّ هؤلاء جميعاً من أهل القبلة لمجرد إعفاء اللحى وتصفيفها وهندستها !! ، ثُمَّ نذهب نكنس من حظيرة السُّنَّة كل مؤمن عالم مجاهد من أجل تخلفه عن إعفاء اللحية !! هذا ليس منطق دين ولا علم ولا عقل على الإطلاق .

ثالثاً : قول الله تعالى : ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ﴾ : ليس معناه أبداً أنَّ كل ما أمر به سيدنا المصطفى صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم قد أخذ حكم قواعد الإسلام الخمس ، فإنَّ فيما أمر به الفرض والمندوب والمباح ، والفرض ما فرضه الله وحده ، وغير الفرض سُنَّة ، والسُّنَّة في الاعتقاد لا رخصة فيها ، وفي العبادة تعتريها أحكام ، وفيما

عدا هذا فللمسلم فيها الخيار ، ما دام لم يجحدها أو يسخر منها ، إن فعل فله الأجر ، وإن ترك فلا أجر له .

تلك هي القضية جميعاً ، في الميزان العلمي الإسلامي ، والخروج بها عن ذلك نوع من التهوك والتشدد الدخيل على دين الله ، وقد جاء عنه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم قوله : « **هَلَكَ المُتَنَطِعُون** »[1] .

وفي الحديث الثابت عنه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **ما نهيتكم عنه فاجتنبوه ، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم** »[2] ، ولا أعرف مَنْ طعن في ثبوت هذا الحديث ، فهو قاعدة إسلامية أصولية إجماعية فاصلة ، وهو يقرر أنَّ على المسلم أنْ يأتي من السنن ما استطاع ، ولفظ « **ما استطعتم** » في الحديث صريح يفتح باب اليسر والسماحة وعدم الإلزام ، وهذه هي شريعة الله على لسان نبيه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، و« الله يحب أن تؤتى رخصه ، كما يحب أن تؤتى عزائمه » .

ونحن قوم نفضل دائماً عزائم العقائد والعبادات ما أمكن ذلك ، ثُمَّ ندع أمر العادات للرخص بحكم مقتضيات الحياة ، ومطالب المتغيرات العامة في الزي والطعام والشراب والمسكن والانتقال والاتصال والوظائف والمتاجر والأعمال ، وما إلى ذلك ، وإلا فقد أوجبنا على أنفسنا ما لا يجب ، وعشنا في مثل بيوت مكة وأزيائها ووسائل حياتها في الصدر

---

(١) سبق عزوه .

(٢) سبق عزوه .

الأول ، وهذا مُنَافٍ للدفع الإسلامي إلى التقدم والحضارة ، ومناف لطبيعة التطور الإنساني نفسه .

رابعاً : نعوذ بالله أن ننكر أو نتنكر للثابت من أحاديث إعفاء اللحى ، وقد قررنا وكررنا ، ونقرر ونكرر هنا ، ونشهد الله على تمام احترامنا لهذه السُّنَّة ولأهلها ، ونعتبر توفيقهم إلى هذا الالتزام قبساً من نور عون الله ، ونراهم أبطالاً جديرين كما قلنا بكُلِّ تقدير ، وبكُلِّ توقير ، ونسأل الله أن يوطىء لنا طريق اللحاق بهم ، على صدق في الطوية ، وإخلاص في النية، والترفع عن كُلِّ دنية ، ظاهرية أو باطنية ، حتَّى لا تكون اللحية طريق غُرور ، ولا عُشًّا للرجيم الغرور ، ولا ستاراً على الغش والزور ، ولا مثاراً للغل والحقد والتعالي والثبور .

لكننا لا نستطيع – ولا يستطيع أحد أبداً – أن يرفع هذه السُّنَّة إلى مستوى الفريضة الأكيدة ، فضلاً أن نجعلها ركناً سادساً لم يأذن الله به في أركان الإسلام !! فإنَّ قواعد الإسلام خمس لا تزال إلى يوم القيامة ، ليس منها إعفاء اللحى !! .

ولقد حَدَّثَنَا رسولُ الله عن قواعد الإسلام ، وأركان الإيمان ، وأصول الإحسان ، ولم تكن اللحية واحداً في واحد منها ، وقد حصر العلماء شروط صحة الصَّلاة والصوم والزكاة والحَجِّ والنَّوافل ، ولم تكن اللحية واحداً في واحد منها ، وهذه جوامع العقائد والأذكار على إسهابها وإيجازها لم تكن اللحية واحداً في واحد منها ، إذن فهي سُنَّة عادة ثابتة ،

وإعفاؤها (بشروطه) نوع من الكمال المظهري ، وأفضل الكمال ما ينبع من القلب ، ويرتضيه العقل ، ولا يرتكز إلى موبقة ، فيكون ثمرة ضرورية أصيلة ، لا عارية قشرية هزيلة .

ولا مرية في أنَّ العمل في سُنَّة عقيدة أو عبادة ، مُقَدَّم على العمل في سُنَّة رغيبة أو عادة .

نسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى ما يرضيه من عمل العقائد والعبادات ، حتَّى نكون أهلاً لما وراء ذلك من أعمال الرغائب والعادات ، فلا تكون مظاهر الرغائب والعادات سبباً في الردِّ أو الطرد أو السلب بعد العطاء !! فنستبدل بصغائر اللمم كبائر الموبقات .

ولعلَّ في هذا كفاية لمن أراد الهداية ، إضافة إلى ما سبق أن كتبناه من قبل ، ولن نعود إلى هذا الحديث بعد إن شاء الله .

❋❋❋

« نحن لا نقول بتذويب المذاهب والطوائف ؛ فلعلَّ هذه أنْ تكون الخرافة الخرفة ، التي لا تدور في ذهن أي عاقل عارف بسنن الحياة وسوابق التاريخ ، وأحكام الأمر الواقع ، ولكنَّنا نقول بالتقريب الفكري ، والتعايش السلمي ، والتعاون على المتفق عليه ، أمراً ونهياً ، وفعلاً وتحركاً ؛ لصالح الإسلام ، وحسن الظن ، بحيث يعذر المخالف مخالفه ، وحسن الإخاء الذي على جوانبه يذهب الزبد ، ويبقى ما ينفع النَّاس ، اللهم لا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا » .

(محمد زكي إبراهيم)

ظاهرة إبادة الشوارب مع إعفاء اللحى

هذه الظاهرة عجيبة فيما أعرف ، فإنَّ ألفاظ الأحاديث التي وردت في هذا الباب بين « قصوا » ، و « أحفوا » ، و « انهكوا » ، وهي لا تؤدِّي أبداً معنى الحلق أو الإبادة أو الاستئصال أو الإعدام الذي نراه اليوم .

فالإحفاء والإنهاك يفسره القص ، والمراد به تقصير الشارب فقط ، لما في ذلك من منافع صحية وعملية ، ولذا كان ممَّا اختاره الفقهاء جميعاً أن تظهر أطراف الشفة تحت الشارب ، أي : أن يكون هناك شارب ، ولكن لا يتدلى على الفم ، والتنسيق بينه وبين اللحية يعطي المهابة والرجاحة ، ولهذا شرط علماء الفقه ارتباط سوالف الشارب باللحية .

وقد انتشرت هذه الظاهرة انتشاراً لافتاً للنظر ، فترى الرجل – وقد يكون أزهرياً – يفتح الله عليه ويوفقه فيوفر لحيته ويعفيها ، ثُمَّ يذهب فيستأصل شاربه ويبيده ، فيبدو للنَّاس خلقاً آخر ، إنْ لم يكن شائهاً كريهاً ، فهو على الأقل لافت للنظر .

وقد قال مالك والشافعي : « إحفاء الشارب عندي مُثْلَة » [١] .

---

(١) ذهب المالكية إلى أنَّ قص الشارب من الفطرة ، وهو سنة خفيفة ، فليس الأمر فيه للوجوب ، قال يحيى بن سعيد : سمعتُ مالكاً يقول : « يؤخذ من الشارب حتَّى يبدو طرف الشفة ، وهو الإطار ، ولا يجزه فيُمَثِّل بنفسه » .

وذهب الشَّافعية إلى مثل ذلك ، وذكروا أن « أحفوا الشوارب » محمول على ما طال على الشفتين ، وعلى الحف من طرف الشفة ، لا من أصل الشعر . =

وعندهما أنَّ المراد بالإحفاء أو الإنهاك في الحديث : هو أن يُؤْخذ من الشَّارب حتَّى يبدو طرف الشفة فلا يغطيها الشعر ، وهذا هو القص ، أي : الأمر الوسط المفسر لواقع الحكم وحكمة التشريع ، والإسلام دين الوسطية بين الإفراط والتفريط .

وقال أشهب : سألتُ مالكاً عمن يحفي شاربه - يعني يستأصله - فقال : « أرى أن يوجع ضرباً » (تأمل) ، أي : أنَّ مالكاً يرى هذا الفعل معصية تستوجب التعزير ، فوق أنَّها عندنا شنعة ، ومسخ ، وتشويه ، وقبح لافت للنظر ، فيبدو فاعل ذلك لا بشيخ ولا بصبي .

وجاء عنه - رضي الله عنه - أنَّه قال لمن يحلق شاربه : « هذه بدعة ظهرت في النَّاس » ، أي لمخالفتها للفطرة التي ميَّزت ظواهر الفرق بين الرجولة والأنوثة دون تشويه ، ولا مثلة ، ولا شنعة ، ولا مسخ ، ولا لفت نظر ، والله تعالى سَوَّى الإنسان وعدله وخلقه في أحسن تقويم .

وأخرج أحمد ، والترمذي ، والنسائي - وصححه - ، قال صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **مَنْ لم يأخذ من شاربه فليس منَّا** »[1] ، فهو صريح

= وذهب الحنابلة إلى أن السنة قص الشعر المستدير على الشفة ، أو قص طرفه ، وحفّه أولى نصاً ، والحفُّ هو المبالغة في القص .

واختلف الحنفية فذهب المتأخرون إلى أنَّ السنة في الشارب القص ، قال في البدائع : وهو الصحيح ، وقال الطحاوي : « القصُّ حسن ، والحلق أحسن ، وهو قول علمائنا الثلاثة » ، وذهبوا إلى ندب توفير الشارب للغازي في دار الحرب ليكون أهيب للعدو .

(١) رواه أحمد في مسنده (٤/ ٣٦٦ ، ٣٦٨)، والترمذي (٥/ ٩٣) ، والنسائي في الكبرى (١/ ٦٦) . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

في أنَّ المراد بالقص والإحفاء والإنهاك : مجرد الأخذ من الشارب ، أي تخفيف كثافة شعره ، وهو الكم المشترك بين جميع الأحاديث الواردة في هذا الباب ، وهو المناسب للذوق والانسجام والفطرة ومعتاد خلق الله الأسوياء .

ولذلك قال مُحَدِّث الصعيد الإمام ابن دقيق العيد : « لا أعلم أحداً قال بقص الشارب من حيث هو » ، أي : إبادته واستئصاله ، فيكون أشبه شيء بالمسخ والمثلة ! .

نقول : وانفراد بعض المسلمين به دون كافَّة أهل اللحى شيء يستوجب النظر ! ! .

وقد روى عامر بن عبد الله بن الزبير ، « أنَّ أمير المؤمنين عمر كان إذا غضب فتل شاربه ونفخ »[1] ، يعني فتل (السبالين) ، وهما طرفا الشارب ، ولا يتأتى ذلك مع استئصال الشارب وإبادته ، أو إعدامه واستهلاكه ومسخ صورة صاحبه ، وليس أحد أعرف بالسُّنَّة من الخلفاء الراشدين ، فظهر أنَّ استهلاك الشارب وإبادته مع إعفاء اللحية إنَّما هو نوع من التبدع والغلواء في الدين بغير حق ولا برهان صحيح ، غفر الله لنا جميعاً ، وهدانا إلى ما يحب ويرضى .

* * *

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٦٦)، وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد : « رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ، خلا عبد الله بن أحمد وهو ثقة مأمون ، إلا أنَّ عامر بن عبد الله بن الزبير لم يدرك عمر » .

المفكرون المسلمون والتطرف

نحب أن ننقل هنا بعض الآراء لبعض المفكرين المسلمين عن المتطرفين فقد يكون من وراء ذلك خير لهم وللإسلام والمسلمين (١) .

١ - الدكتور أحمد شلبي :

يقول الدكتور أحمد شلبي أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة :

نحن نميل إلى أن نبعد ظاهرة التطرف عن الإسلام والمسلمين ، والمتطرفون وما يسمون أحياناً الإرهابيين إنَّما أكثرهم بعيدون عن الإسلام، فالتطرف لا يعرفه الإسلام ، إنَّما الإسلام دين وسط ، ودين يدعو إلى الحكمة والموعظة الحسنة ، والدعوة علم لا يقل أهمية عن الطب والهندسة أو العلوم الأخرى ، إذ ينبغي أن يكون لها متخصصون وعارفون بوسائلها ونظمها وأهدافها .

وهؤلاء - ولا شَكَّ - لا يمكن أن يكونوا من المتطرفين ، لأنَّ الأهداف التي يدعون إليها أهداف سامية ، فإذا صادفنا من يسمى متطرفاً فأغلب الظن أنَّه دخيل على الدعوة الإسلامية وغير دارس لمناهجها وأهدافها ، أو أنَّه مظلوم أو مضطهد ومدفوع لذلك .

ولأضرب لك مثالاً من حياتنا في مصر ، عندما صدرت القرارات

---

(١) راجع جريدة الأحرار صفحة (٣)، بتاريخ ١٩/ ١٠/ ١٩٨٧م .

بمنع صلاة العيد في العراء ، وهناك جماعات كثيرة من المسلمين يرون أن صلاة العيد في العراء سُنَّة ، فلمَّا أتيحت لهم الفرصة وسمح لهم بصلاة العيد في العراء صَلُّوا ثُمَّ عادوا إلى بيوتهم بمنتهى الهدوء والوداعة ، ومن هنا فإنَّه ينبغي قبل أن نحكم على شخص بالتطرف والإرهاب أن نسأل أنفسنا : ما هي الأسباب التي جعلته يتجه هذا الاتجاه ؟! وهل يكون من حقه أن يتطرف ويرهب ؟! .

٢ - المستشار محمد التهامي :

أمَّا الشاعر محمد التهامي المستشار بجامعة الدول العربية فيقول : إنَّ التطرف يكاد يكون ظاهرة عالمية نتيجة للتطور الحضاري علمياً وفنياً وطبيعة الحياة بشكل عام .

وحركات التطرف موجودة بين الشباب في أوروبا من عقدين من الزمان ، نذكر منها الشباب الجامعي في فرنسا ، ثُمَّ الحركات الموازية للهيبز وغيرها من الحركات في إنجلترا وأمريكا .

وكان بدهياً أن ينتقل هذا التطرف للعالم الثالث ومنه مصر ، ففي مصر شبابٌ مثقف يعاني اقتصادياً وفكرياً ، ولذلك أفرز المجتمع مجموعات متطرفة هنا وهناك .

وهذا التطرف له جانبان : الجانب الأول : هو أن يتلاقى المتطرفون في الاتجاهات المختلفة في إطار فكري مثقف واعٍ يستغل مناخ الحرية السائدة للوصول إلى أهدافه .

وهناك احتمال لوجود الجانب الآخر الذي يتم استغلاله ، مدفوعاً

بمصالح مستترة ذات قُوى أغلبها خارجي يستثمر التطرف للانحراف بالمسيرة ، وهذا ما يجب أن تتوحد الجهود على المستوى الرسمي والشعبي في مختلف الهيئات والمؤسسات والتجمعات والطوائف والأحزاب لمواجهته والحد من شروره .

ويستطرد الأديب الشاعر محمد التهامي فيقول : أمَّا عن التحرك الديني لبعض التجمعات الشبابية ، فهي تحركات ينقصها التعمق في فهم حقيقة الشريعة الإسلامية ، والتربية المحمدية ، والتاريخ الطويل للتراث الفكري الإسلامي ، وهذه الظاهرة يمكن معالجتها بالوعي وتنوير الشباب .

وفي الحقيقة هناك خطرٌ يدخل تحت رداء الدِّين من قلة مستترة تحاول الإرهاب مستغلة اسم الدِّين .

٣ - فضيلة الشيخ منصور الرفاعي :

وقال الشيخ منصور الرفاعي عبيد مدير عام المساجد الأهلية بوزارة الأوقاف المصرية : إنَّ المتطرف هو الذي يفرض على النَّاس رأيه ، ويجنح في كلامه ، ولا يستمع لرأي الآخرين ، مع التعصب الشديد ، سواءً كان اتجاهه يميناً أو شمالاً .

وأنا أتعامل مع الشباب ، وأستطيع أن أقول : كلُّ ما هنالك أفكار تلقفوها وتشبثوا بها ، وهؤلاء يرجى الخير منهم عندما يستمعون إلى الرأي الصحيح ، ويعلمون أنَّ الإسلام لا يقر التعصب ، ولا يرضى بالتطرف ، ولابد من إقامة حوار مع هؤلاء الشباب ، وإضفاء الأمان على مكان اللقاء ، حتَّى يستطيع كل متطرف أن يعبر عن رأيه ويعرف الرد عليه .

ويستطرد الشيخ الرفاعي قائلاً : إنَّ الإسلام يقر تبادل الآراء ، فالإسلام يملي علينا ألا نتعصب لرأي .

والحقيقة : ليس هناك تطرف في الدِّين ، وإنَّما التطرف في الفكر ، والفكر قد يكون دينياً ، وقد يكون غير ديني .

فالفكر الديني المتطرف ينشأ في جو الاستبداد والاستعباد والقهر والظلم والطغيان ، ولكن عندما يظهر الطبيعي ، ويتم تبادل الآراء وتتعدد الأفكار ، فإنَّ التعصب يذوب ، ولا يكون له أثر في المناخ الإسلامي الذي يتم فيه تبادل الآراء ، وهذا ما نرجو إن شاء الله .

٤ - الدكتور عادل صادق :

الدكتور عادل صادق أستاذ الطب النفسي بجامعة عين شمس يقول : إنَّ التطرف هو تبني وجهة نظر معينة يرى الآخرون أنها خاطئة ، ورغم ذلك يصمم المتطرف عليها ، ولا يحيد عنها ، ويرى أنَّه على صواب والآخرون هم المخطئون .

ولا أتصور أن في مصر شباباً متطرفاً ، والذين نطلق عليهم متطرفين إنَّما هم يحملون فكراً معيناً ، لم نحاول أن نحلله ، ولم نحاول كشف عيوبه لمعتنقيه .

إنَّ المجتمع يعاني من مشاكل سياسية واجتماعية واقتصادية أدت إلى الإحباط العام ، ونتيجة لهذا لابد للإنسان أن يبحث عن دواء ، عن فكر ، عن مبدأ ، حتَّى يجد حلاً لمشاكله ، وهم ظنُّوا الحَلَّ في التطرف .

٥ - الشيخ القرضاوى والتغالي[١] :

يقول الشيخ يوسف القرضاوي :

إنَّ ثمة عيوباً موجودة في المشتغلين بالعمل الإسلامي ، من هذا مثلاً : عيب (الغلو) الذي يقع فيه البعض من حيث درى أو لا يدري ، تجد أن الغلو والتشدد بات لازمة عند البعض ، والوقوف عند القشور والفروع أصبح لازمة أخرى عند البعض ، مع أنَّ الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم حَذَّرنا في غير موضع من الغلو ، وقال : « **إيَّاكم والغلو في الدِّين ، فإنَّما هَلَكَ مَنْ قبلكم بالغلو في الدِّين** »[٢] .

وفي حديث ابن مسعود ، يقول الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ** » ، قالها ثلاثاً . رواه مسلم[٣] . قال النووي : هم المتفيهقون ، المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم .

كذلك نهى الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم عن التشدد في الدِّين ، وفي الحديث : « **لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم ، فإنَّ قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ، فتلك بقاياهم في الصوامع والديار ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾** »[٤] . ذكره ابن كثير في تفسيره سورة الحديد .

---

(١) جريدة اللواء الإسلامي في ١١/ ٦/ ١٩٨٧ م .

(٢) رواه أحمد (١/ ٢١٥)، وابن خزيمة في صحيحه (٤/ ٢٧٤)، وابن حبان في صحيحه (٩/ ١٨٣) .

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٢٦٧٠) .

(٤) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٢٧٦)، والطبراني في الكبير (٦/ ٧٣) .

- **من عيوب الغلو :**

ويمضي الدكتور القرضاوي في تعديد عيوب الغلو في الدِّين فيذكر من جملة عيوبه ، أنَّه مُنَفِّر لا تحتمله طبيعة البشر العادية ، وأنَّه قصير العمر ، والاستمرار عليه في العادة غير متيسر ، ولذا قال الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم فيما يرويه الشيخان ، وأبو داود ، والنسائي ، عن عائشة : « **اكلفوا من الأعمال ما تطيقون ، فإِنَّ الله عَزَّ وجَلَّ لا يَمَلُّ حتَّى تَمَلُّوا ، وإِنَّ أحب العمل إلى الله أدومه وإِنْ قَلَّ** » [1] .

٦ - الشيخ الغزالي والتدين الفاسد [2] :

ينفي الشيخ الغزالي أيَّ صلة بين الدِّين الصحيح وبين أي اتجاه للشدة أو للعنف . . وترجع هذه الصلة إلى التدين المنحرف ...

يقول : وللتدين المنحرف أسباب نفسية ، وأخرى علمية ، تظهر في أقوال المرء وأفعاله ، وتلحظ فيما يصدره من أحكام على الأشخاص والأشياء .

إنَّ ساحتنا شهدت مثل هذا الإنسان ، وهو مسئولٌ عن التدين الفاسد ، والله ينعى على البشرية تفسير دينه حسب أهوائهم : ﴿ **إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ ، والمعنى أن الضرر قد يقع من الدعاة أنفسهم ، وكم رأينا من سباق للكلام في الدِّين

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١١٥١ ، ١٩٧٠ ، ٥٨٦٢) ، ومسلم في صحيحه (٧٨٢) ، وأبو داود في سننه (٢/ ٤٨) ، والنسائي في السنن الكبرى (١/ ٢٧٤) .

(٢) جريدة اللواء الإسلامي في ١١/ ٦/ ١٩٨٧ م .

لا حصيلة له إلا اللغو والهباء ، لأنَّ الوعظ لا يبلغ هدفه مهما كان بليغاً إذا قرنته بنية مغشوشة .

والآفات النفسية تشيع بين ناس كثيرين ، فيهم المتدين وغير المتدين ، وعلى كل حال فهو سبب من أسباب التدين الفاسد الذي نلحظ آثاره في بيئتنا .

ويقول الشيخ الغزالي : إنَّ التدين يوم يفقد طيبة القلب ، ودماثة الأخلاق ، ومحبة الخلائق ، يكون لعنة على البلاد والعباد . وهذا التطرف يقع في الحرص البالغ على الأمور الخلافية كالحديث في مكان وضع اليدين ، أو طريقة وضع الرجلين خلال الصلاة ، ممَّا لا يضر الدِّين ولا الدُّنيا .

***

« إنَّ الخلاف المذهبي حقيقة قائمة بين السَّلَفية والصُّوفية ، وليس يغني في إخفاء هذه الحقيقة دعوى أو تجهيل ، وهذا الخلاف يستهلك كل الوقت ، وكل الجهد ، وكل الطاقة ، وما لم يوضع حد لتخفيف حدة هذا الخلاف ، فإنَّه لا يرجى أبدًا أن تتحقق وحدة الشعب الإسلامي على الصُّورة المؤملة ، وهذه الوحدة هي أساس كل المطلوب (للحياة الإسلامية الصحيحة) ولإنقاذ هذه الأمَّة !! » .

(محمد زكي إبراهيم)

حكم تكفير المسلمين وتشريكهم[1]

يتميز (المتمسلفة)[2] بالإصرار الوقح على سَبِّ مخالفيهم ولعنهم ، ورميهم بالكفر والفسق والشرك وغير ذلك ، ممَّا لا يساير ألبتة روح الإسلام ولا أدب المسلمين .

وهو يخالف قواعد المناظرة ، وأصول البحث ، ومبادىء الكتابة والخطابة ، بقدر ما ينافي تمام الإيمان .

ففي الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **ليس المؤمنُ بالطعَّان ، ولا اللعَّان ، ولا الفاحش ، ولا البذيء** »[3] .

وفي الصحيحين : « **سباب المسلم فسوق وقتاله كفر** »[4] .

وفي مسلم ، عن ثابت بن الضَّحَّاك رضي الله عنه ، قال الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **لعن المؤمن كقتله** »[5] .

---

(١) نشر هذا المبحث في مجلة المسلم (مجلة العشيرة المحمدية)، السنة (١٣)، العدد (٦)، المحرم ١٣٨٣ هـ - مايو ١٩٦٣ م ، كلمة الرائد .

(٢) المتمسلفة مصطلح يطلقه شيخنا رحمه الله تعالى على أدعياء السلفية .

(٣) رواه الترمذي (٤/ ٣٥٠)، وابن حبان في صحيحه (١/ ٤٢١)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٧) .

(٤) رواه البخاري (٤٨، ٦٠٤٤) ، مسلم (٦٤) .

(٥) رواه البخاري (٦١٠٥، ٦٦٥٣)، ومسلم (١١٠) .

وفيه عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، عنه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **لا يكون اللعَّانون شُفَعَاء ولا شهداء يوم القيامة** »[1] .

وفي الصحيحين ، واللفظ لمسلم ، عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه ، عنه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **مَنْ دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله ، وليس كذلك** ، **حار** - أي رجع الإثم - **عليه** »[2] .

وفيهما ، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ، قال الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **إذا قال الرجل لأخيه يا كافر ، فقد باء بها أحدهما ، فإن كان كما قال ، وإلا رجعت عليه** »[3] .

ومن عجب أنْ يكفِّر هؤلاء خلق الله بحمقهم ، والسلف من الصحابة والتابعين - حتَّى ابن تيمية - لم يكفروا الخوارج مثلاً ، وهم الذين استحلوا دماء المسلمين وأموالهم ، وجعلوا بلاد المسلمين بلاد حرب ، وبلادهم بلاد إسلام (شأن الوهَّابيين سواءً بسواء) .

ولم يكفروا فرقة (القدرية) القائلة بأنَّ الله لم يُقَدِّر العصيان والهداية ، ولا هو يقدر على ذلك ، وأنَّ المسلم مَنْ جعل نفسه مُسْلماً ، والمصلي مَنْ جعل نفسه مصلياً ، فلا قدرة لله ولا مشيئة له (عياذاً بالله) ، ولا فرقتهم القائلة بأنَّ الطاعة والمعصية أمر قهري في الإنسان ، كالبياض والسواد فيه ، ولم يحكم أحد بردتهم ، ولا بردَّة المرجئة الذين يقولون إنَّ الإيمان قول بلا عمل ، فلا صلاة ولا غيرها تتمه ، بل لقد صَلَّى الإمام أحمد خلف

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢٥٩٨) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٦٠٤٥) ، ومسلم في صحيحه (٦١) .

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٦١٠٤) ، ومسلم في صحيحه (٦٠) ، واللفظ له .

بعض أئمة الجهمية ، واستغفر لهم ، وترحم عليهم ، وهم الذين يقولون : ليس على العرش إله يعبد ، وليس في الأرض لله كلام ، ولا له صفات ، وإنَّ ظاهر القرآن والسُّنَّة لا يحتج به في معرفة الله ، حتَّى كان عبدالله بن المبارك يقول : « إنَّا لنحكى قول اليهود ، ولا نحكى قول الجهمية » ، ومع هذا لم يسحب أحد على مقتوليهم ولا أمواتهم حكم الردة ، بل غسلوهم وكفنوهم وصلوا عليهم .

وكلٌّ ذلك مأخوذٌ من السُّنَّة المطهرة ، ففي الطبراني عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه ، عنه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم قال : « **كُفُّوا عن أهل لا إله إلا الله ، لا تُكَفِّروهم بذنب ، فمن أكفر أهل لا إله إلا الله فهو إلى الكفر أقرب** »[1] .

وفي أبي داود ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عنه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم قال : « **ثلاثة من أصل الإيمان : الكف عمن قال لا إله إلا الله ، لا تكفره بذنب ، ولا تخرجه من الإسلام بعمل** ... » إلخ[2] .

وقد جاء في مسلم أنَّ خالداً استأذن النَّبيَّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم في قتل منافق فأبى النَّبيُّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، وقال : « **لا ، لعله أن**

---

(١) رواه الطبراني في معجمه الكبير (١٢/ ٢٧٢)، وفيه الضحاك بن حمرة ، وعلي بن زيد ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٠٦) : « وقد اختلف في الاحتجاج بهما » .

(٢) رواه أبو داود في سننه (٣/ ١٨)، وأبو يعلى في مسنده (٧/ ٢٨٧)، والبيهقي في سننه الكبرى (٩/ ١٥٦)، وبقية الحديث : « **والجهاد ماضٍ منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال ، لا يبطله جور جائر ، ولا عدل عادل ، والإيمان بالأقدار** » .

يكون يصلي » ، فأوضح خالدٌ للنَّبيِّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم رأيه فيه ، فقال النَّبيُّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **لم أومر أن أُنَقِّب عن قلوب النَّاس ولا أشق بطونهم** »[1] .

وروى الشَّافعي وأحمد نحو ذلك ، عن رجل من الأنصار استأذن في قتل منافق ، فمنعه النَّبيُّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم قائلاً : « **أليس يشهد ألا إله إلا الله** »[2] .

وفي الحديث عنه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم قال : « **أمرتُ أن أقاتل النَّاس حتَّى يقولوا لا إله إلا الله** » . رواه البخاري ومسلم وأحمد[3] ، وحقها هنا ألا يأتي المسلم قولاً أو عملاً هو كفر أو شرك صراح ، لا شبهة به على وجه ، ولا شك فيه باجتهاد أو تأويل .

هذا ، وفي المتفق عليه عن عائشة رضي الله عنها ، عنه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **إنَّ الله رفيق يحبُّ الرفق في الأمر كله** »[4] .

وروى مسلم في صحيحه ، عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه ، قال : سمعتُ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم يقول : « **مَنْ يُحْرَم الرفق يُحْرَم الخير** »[5] .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١٠٦٤) .

(٢) رواه الشَّافعي في مسنده (١/ ٣٢٠)، وأحمد في مسنده (٥/ ٤٣٢)، وهو عند مالك في الموطأ (٤١٣)، ونحوه في صحيح مسلم (٣٣) .

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣٩٣، ١٤٠٠، ٢٩٤٦)، ومسلم في صحيحه (٢٠، ٢١)، وأحمد في مسنده (١/ ١١) .

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٦٩٢٧)، ومسلم في صحيحه (٢٥٩٣) .

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٢٥٩٢) .

والرفق في الحديثين عام شامل ، فهو يضم الرفق في القول والعمل ، والفهم والإفهام وغيره ، وهو قوله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **أُرْسِلْتُ بالملة السمحة الحنيفية** »[1] ، أو كما قال .

وعليه حديث البخاري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بال أعرابي في المسجد فقام النَّاس إليه ليقعوا فيه ، فقال النَّبيُّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **دعوه ، وأريقوا على بوله سَجْلاً ، أو ذَنُوباً ، من الماء ، فإنَّما بُعِثْتُم مُيَسِّرين ولم تُبْعَثُوا مُعَسِّرين** »[2] .

ولذلك كان ما جاء في المتفق عليه ، عن عائشة رضي الله عنها : « **مَا خُيِّر رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً** »[3] .

وكان صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم يقول : « **يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا ، وبَشِّرُوا ولا تُنَفِّرُوا** »[4] .

ومنه يفهم سرُّ الترغيب فيما رواه الترمذي ، عن ابن مسعود رضي الله عنه ، عنه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، أنَّه قال : « **ألا أخبركم بمن تحرم عليه النَّار ؟ !، تَحْرُمُ على كُلِّ قريب هين لين سهل** »[5] .

---

(١) عند أحمد في مسنده (٥/ ٢٦٦) بلفظ : « **ولكنِّي بعثتُ بالحنيفية السمحة** » ، وعند الطبراني في المعجم الكبير (٨/ ١٧٠) : « **إنَّما بعثت بالحنيفية السمحة ، ولم أبعث بالرهبانية البدعة** » .

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢٢٠ ، ٦١٢٨) .

(٣) رواه البخاري (٣٥٦٠ ، ٣١٢٦ ، ٦٧٨٦)، ومسلم (٢٣٢٧) .

(٤) رواه البخاري (٦٩)، ومسلم (١٧٣٢) .

(٥) رواه الترمذي (٤/ ٦٥٤) ، وابن حبان في صحيحه (٢/ ٢١٦) .

فتلك هي روح الإسلام تيسير ورفق في حدود المباح ، لهذا قال صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم فيما رواه البزَّار : « **إنَّ هذا الدِّين متين فأوغل فيه برفق ، ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله ، فإنَّ المُنْبَتَّ لا أرضاً قَطَعَ ولا ظَهْراً أَبْقَى** »[1] .

وأيَّدَ ذلك بقوله في رواية البخاري : « **إنَّ الدِّين يُسْرٌ ، ولن يُشَادَّ الدِّين أحدٌ إلا غلبَهُ فسَدِّدُوا ، وقَارِبُوا** »[2]، وتأمَّل معنى سَدِّدُوا وقاربوا ، وما فيهما من التيسير والتوسعة .

وعليه ما جاء في السُنن ، عنه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **هَلَكَ المُتَنَطِّعُون** »[3] .

وقوله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **ما أمرتكم به فائْتُوا منه ما استطعتم** »[4] .

---

(١) رواه البَزَّار (٧٤)، والحاكم في معرفة الحديث (٩٥ ، ٩٦)، والقضاعي (١١٤٧ ، ١١٤٨)، وأبو الشيخ في الأمثال (٢٢٩)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ١٨)، وقال الحاكم : « حديث غريب الإسناد والمتن »، وفيه يحيى بن المتوكل ، ذكره الحافظ في التهذيب ، وهو متكلم فيه ، والحديث رواه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٢٠٢) مرسلاً عن محمد بن المنكدر ، وقال : « هذا أصح من الأول »، قال العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٢٨٤) : « واختلف في إرساله ووصله ، ورجح البخاري في تاريخه الإرسال ، ... ، وقد أفرد السخاوي في الحديث جزءاً » ، وللحديث طريق عن عبد الله ابن عمرو رواه البيهقي (٣/ ١٩) وغيره ، وإسناده ضعيف .

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣٩) .

(٣) سبق عزوه .

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧) .

وعليه قوله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم لمعاذ رضي الله عنه حين أغرق في إطالة الصلاة : « **أفتَّان أنت يا معاذ ؟!** »[1] ، على أنَّ معاذاً لم يجترح ما اجترحه هؤلاء من تعسف وتشديد وتمذهب يفضي إلى التجهيل والتمطيل والتضليل .

ولأمرٍ ما قال الله تعالى : ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾ .

ولأمرٍ ما رضي النَّبيُّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم عن الجارية التي سألها : « **أين الله ؟!** » فقالت : في السماء ، فأمر بعتقها ، وشهد إيمانها كما جاء في صحيح مسلم[2] .

فتلك هي روح الإسلام ، وتعاليم رسوله الأعظم ، نسرد بعضها سرداً سريعاً ، تطميناً وهدايةً وتحقيقاً ، لا يرقى إليه تجريح بتصريح ولا تلويح ، عسى أن يحفظ هؤلاء النَّاس ألسنتهم من المجازفة برمي مخالفيهم بالشرك والكفر والفسوق والعصيان ، ولعلَّهم إلى كُلِّ ذلك أقرب من جميع المسلمين .

***

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٢٩٩)، واللفظ له ، ورواه البخاري (٧٠٥، ٦١٠٦)، ومسلم (٤٦٥) .

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٥٣٧)، وقال السيد عبد الله بن الصِّدِّيق الغُمَاري في تعليقه على « التمهيد » لابن عبد البر (٧/ ١٣٥) عن هذا الحديث : « رواه مسلم وأبو داود والنسائي، وقد تصرف الرواة في ألفاظه، فروي بهذا اللفظ كما هنا ، وبلفظ « مَنْ ربك ؟ » قالت : الله ربي ، وبلفظ « أتشهدين أن لا إله إلا الله ؟ » قالت : نعم . وقد استوعب تلك الألفاظ بأسانيدها الحافظ البيهقي في السنن الكبرى » .

كيف تصبح سلفياً عصرياً ؟[1]

السلفية العصرية هي النموذج الجديد ، أي (المودل العصري) ، للإعلان عن التدين الحديث ، والإسهام في التطرف والتشدد ، والتنادي العصبي بالانفراد بخدمة الإسلام ، ويمكن تلخيص (السلفية العصرية) في بعض أصولها ومعالمها وقواعدها فيما يأتي :

أولاً : أن تعتقد أنَّك وحدك (لا شريك لك) على الحق ، وأنَّ كلَّ مَنْ لم يكن على ما أنت عليه فهو مبطل خاطىء ، بل مرتد حلال العرض والدم والمال ، حتَّى ولو أوتي علم (سيدنا) مُحَمَّد ، وتعبد موسى ، وزهد عيسى ، وخلة إبراهيم ، وصبر أيوب ، وكفاح نوح ، وبخاصة إذا كان حاكماً أو عالماً سابقاً ، أو مجتهداً من المشاهير .

ثانياً : أنْ تعتقد أنَّه لن يدخل الجنَّة معك أنت وطائفتك أحدٌ أبداً ، وأنَّ المسلمين من غير مذهبك كالكفار والمشركين هم وقود النَّار ، ولو كانوا من الذين أنعم الله عليهم من الصِّدِّيقين والشهداء والصَّالحين .

ثالثاً : أنْ تحتقر كل مَنْ خالفك ، وتحقد عليه بغلٍّ ظاهر وباطن ، وأنْ تحاول هدمه وتحطيمه ، قولاً وعملاً ، بما يجوز وما لا يجوز ، وأنْ تجعل سبَّه وشتمه عبادة من عباداتك التي لا تنتهي ولا تفتر ، في (الحش) ، أو في الدرس ، أو على المنبر !! .

---

(١) نشر هذا المبحث في مجلة المسلم (مجلة العشيرة المحمدية)، السنة (٣٢)، العدد (٣)، شوال ١٤٠١ هـ - أغسطس ١٩٨١ م، كلمة الرائد .

رابعاً : أن تعتقد أنَّ الأكوان أزلية مع الله ، وأنَّ الله يجلس على العرش بذاته ، وأنَّه ينزل ويصعد ، ويجيء ويضحك ، ويغضب ويذهب، وأنَّ له أعين وأيدي وأرجل ، وأنَّه لو دُلّي شخص من الأرض بحبل لسقط على الله بلا تأويل .

خامساً : أن تعتقد أنَّ رسول الله المصطفى صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم بشر ككُلِّ البشر ، ولد كما يولد (شمعون وبطرس) ، ومات كما مات (غاندي وغاليوم)، وأنَّه لا معجزة له إلا القرآن ، وأنَّ مَنْ نسب إليه غير ذلك من المعجزات أو الخصائص مخرف أبله ، ولو كان البخاري ومسلم ، ثُمَّ قل : إنَّ أباه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم وأمَّه وجدَّه وعمَّه في النَّار .

سادساً : أنَّ عصمته صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم كانت محدودة في منطقة معينة ، وإلا فهو يخطيء ويصر على الخطأ ، ويا طالما (قرعه ربه) على خطئه ، وأنَّ كل ميزته أنَّه (طارش) يعني (ساعي) قرآن ، أدَّاه بالأمانة[1] ، وأنَّ توقيره وتعزيره والثناء عليه شرك .

سابعاً : عندما تقصد إلى المدينة المنورة ، إيَّاك أن تفكر في زيارة القبر الأشرف الأطهر ، ولكن اجعل مقصدك زيارة (أحجار) المسجد ، فذلك هو المطلوب الشرعي ، لكيلا تقع في وثنية حب رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، أو مناجاة روحه الشريف .

ثامناً : ولا بُدَّ أن تتذكر أن (جهلة) الصحابة و(حمقى) التابعين قد

---

(١) قال شيخنا رحمه الله تعالى : « الطارش في لغة متمسلفي نجد هو ساعي البريد ، ويطلقونها بكُلِّ وقاحة وحقد على سيِّدنا رسُول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم حتَّى لا يقعوا في شرك الثناء عليه وتوقيره » .

أدخلوا القبر النبوي ضمن المسجد (فاستوجبوا اللعنة) ، حتَّى أصبحت الصَّلاة في المسجد النبوي مشبوهة ، لا يطمئن سلفي إلى صحتها ، وأنَّ ملايين الملايين من الزائرين للقبر النبوي مردودة عليهم عباداتهم ودعواتهم لارتباط القبر الطاهر بالمسجد .

تاسعاً : إذا ذكرت مولانا الإمام بن الإمام أخي الإمام أبي الأئمة ، سيد شباب أهل الجَنَّة ، أبي عبد الله (الحسين بن عليٍّ وفاطمة) ، فقل : إنَّه قُتل عدلاً ، وليس شهيداً ، لأنَّه خرج على الوالي الشرعي (يزيد بن معاوية)، فاستحق القتل هو ومن معه ، أمَّا أنَّ (يزيد) كان والياً فاسقاً فاجراً داعراً ، فليس هذا من شأن الحسين ، ولا من شأن أهل بيته ، وأكثر من سَبِّ الحسين وآله تدخل الجنَّة .

عاشراً : إذا ذكرتَ زيارة المشهد الحسيني الشريف ، فقل : إنَّ الرأس المدفون بهذا المشهد هو رأس رجل يهودي على ما قاله (ابن تيمية)، وأنَّ الرأس الحسيني ذهب حيث ذهب ، فلم يدخل مصر ، وأنَّ الضريح القائم بمصر الآن (وثن ورجس) يتعين هدمه ، وتسوية قبته بأرضه ، كما فعل السلف باللات والعزى .

حادي عشر : وقل مثل هذا عن جميع أهل البيت الأشرف نساءً ورجالاً في مشاهدهم ومساجدهم ، وألحق بهم كبار الأئمَّة من أمثال الشَّافعي ، والليث بن سعد ، والشعراني ، والبدوي ، والدسوقي ، والحنفي ، والشَّاذلي ، والمرسي ، والرِّفاعي ، ومَنْ والاهم ، وقُلْ إنَّها جميعاً طواغيت وأصنام ، والمشغولون بها وثنيون ، خير منهم عباد البقر ، وأنَّك تستطيع بقليل من العمل أن تبلغ درجاتهم فتكون مثلهم أو تزيد عليهم .

ثاني عشر : أنكر كافة مذاهب أهل السُّنَّة بدءاً بالمذاهب الأربعة ، وما سبقها أو لحقها ، ولا تعترف إلا بـ (ابن تيمية ، وابن عبد الوهاب)، ثُمَّ بمروِّجي مذهبهم والدَّائرين في فلكهم من عبيد الدولار والدينار ، وقُل : إنَّ أئمَّة المذاهب الأربعة ومَنْ والاهم (مجرمون) فرقوا الأمَّة ، وصرفوا النَّاس بقضاياهم الفقهية عن السُّنَّة والحديث الشريف ، وأنَّه لا حاجة بنا لاجتهاداتهم ، أو الاقتداء بهم ، وأنَّ على كُلِّ مسلم أنْ يعمل ليحصِّل شروط الاجتهاد قبل تحصيل المعاش ، حتَّى يتناول الأحكام من الكتاب والسُّنَّة مباشرة ، مهما كانت ثقافته ، أو إحاطته بعلوم اللغة والدِّين ، سواءً في ذلك سكان الأدغال ، أو قمم الجبال ، أو خريجي الأزهر .

ثالث عشر : اعتقد قبل كل هذا ، وبعده ، أنَّ إعفاء اللحية هو ركن الإسلام (السادس) الذي أغفل ذكره رواة الأحاديث الذين ذكروا أركان الإسلام ، وجعلوها خمسة فقط ، بينما هي (ستة) تماماً ، وقُلْ : إنَّ أئمَّة المذاهب تآمروا على الإسلام فلم يجعلو توفير اللحية شرطاً لصحة الإسلام، أو الإيمان ، أو الإحسان ، ولم يجعلوا ترك إعفائها مفسداً للصلاة ، والصوم ، والزكاة ، والحج جميعاً ، ولم يقولوا : إنَّ ترك إعفائها ردَّة تُخْرِج من دين الله ، وأنَّه لا يطلق على الحليق لفظ مسلم أبداً ، بأي وجه ، ولا بأي تأويل ، ولا بأي دليل ، مهما صَلَّى وصام وزكَّى وحَجَّ والتزم حدود الله ، وأنَّ الحليق مستوجب لعقوبة الردَّة والحرابة .

رابع عشر : احمل بكُلِّ عُنْف ، بل بكُلِّ وقاحة على جميع مواسم المسلمين وأحفالهم وتقاليدهم مهما يكن لها سند أو استنباط أو قياس ، واتهم كل من يشترك فيها عالماً كان أو جاهلاً بالشرك والكفر ، والفسوق

والعصيان ، والردَّة والجهل بمعالم الإسلام ، وداوم التشويش والتشويه ، خلطاً بين سنن العادة والعبادة ، وخالف في كُلِّ شيء ، واستلفت إليك الأنظار ، واعزل نفسك عن المجتمع قولاً وعملاً .

خامس عشر : وجِّه كل جهودك إلى تدمير البناء (الصُّوفي) أصيله ودخيله ، مليحه وقبيحه ، واجعل ذلك همَّك الأول والأخير ، وغايتك الدُّنيا والقصوى ، ولا تقبل في ذلك حُجَّة ولا بياناً ، حتَّى إنْ كان من كلام إمامك ابن تيمية ، وانس كل النسيان ما في البلاد الإسلامية من مآسي التفريق والتمزيق والخلافات والحروب والأخطار ، ومن شراسة التنصير والتبشير ، وكوارث الإبادة ، وفواجع الانحلال واللادينية ، وأهوال الشيوعية ، وفساد الأخلاق والعقائد الذي تبثه وسائل الإعلام المقروءة ، والمنظورة ، والمسموعة ، وخطط القضاء على الإسلام التي تدبرها الصليبية واليهودية والفوضوية والماركسية ، بمراتبها المختلفة ، في كل وطن فيه واحد من أهل القبلة بالأرض كلها .

فكُلُّ ذلك هين - وهين جداً - بجوار واجب هدم التصوف ، وتدمير بنائه ، سواءً بالترغيب والإغراء ، أو الترهيب والإيذاء .

سادس عشر : لا تعترف بغير العروبة والعرب في المحيط الإسلامي ، رغم كفاح الإسلام للعصبيات والعنصريات ، وقُلْ : إنَّ الترك والكرد والروم والفرس ، وكلَّ مَنْ دخل الإسلام من غير العنصر العربي ، إنَّمَا دخلوه (شعوبية) ليقضوا عليه من الداخل بوسيلة أو بأخرى ، وأن كل مجد أضيف إلى الإسلام من غير العرب إنَّمَا هو أضلولة وأكذوبة ، وأنَّ له دوافع باطنية كلها خطورة لا يفهمها إلا المتسلفون وحدهم ، وأنَّ غير

العرب هم الذين أدخلوا على الإسلام من الأقوال والأعمال ما سبَّب ويسبِّب له الضياع والتخلف حتَّى ابتلاء العرب بالدولار والدِّينار .

سابع عشر : فإذا احتجُّوا عليك بأمثال البخاري ، وأبو حنيفة ، والجرجاني ، والغزالي ، والمئات من كبار علماء الإسلام غير العرب في كُلِّ علم وفن ، وأمثال صلاح الدين الكُرْدي ، وقُطُز ، وبيبرس ، وبرسباي المملوكي ، ومحمد الفاتح التركي ، فقل : هذه فلتات ، أو هي أستار تحجب ما وراءها عمداً لأمر ما ، أو ابحث لكُلِّ واحد منهم عن شبه نقيصة ، تقضي بها على ما نسب إليه من أفضال ، فإذا سَلَّم لك واحد وقال : إنَّ الله حكم بأنَّ الحسنات يذهبن السيئات ، فقل : هذه قاعدة لا تنطبق على هؤلاء الأعاجم ، وأنَّها خاصة بالعرب وحدهم ، وإنْ جاءوا بما عجز عنه الشيطان !! .

ثامن عشر : قُلْ بلا تحفظ عن كُلِّ (حديث نبوي) لا يؤيد وجهة نظرك هو ضعيف ، أو موضوع ، واجعل من سنن العادة سنن عبادة ، أو العكس، بلا أصول ، ولا قواعد ، إلا مزاجك الشخصي ، فالمزاج هو ميزان الشرع في التسلف المعاصر .

تاسع عشر : لا تتوسل إلى الله مبتهلاً إليه بواحد من صالحي المسلمين، حيًّا كان أو ميتاً، ولا بسيدنا المصطفى صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم، وقُلْ : إنَّ هذا هو عين الوثنية ، والشرك مهما يكن دليله ، وشروطه وتفاصيله ، ولا نفرق بين (المسئول به ، والمسئول منه) ، وغالط كلما أعجزك الدليل ، وداور وناور ، وأخرج المسلمين من دين الله جميعاً بالتوسل .

- لا تأتم في الصَّلاة برجل ليس من شيعتك ، مهما يكن دينه وعلمه وفضله وسابقته في الدعوة إلى الله ، وإيَّاك والصَّلاة خلف الحليق والصُّوفي إيَّاك .

- لا تدخل مسجداً لغير طائفتك ، وقُلْ عن بقية المساجد إنَّها (كنائس وبِيَع) أو تكاد ، خصوصاً إذا كان بها (قبلة) ، أو منبر مرتفع ، أو ضريح !! .

- لا تعامل مَنْ ليس مِنْ مذهبك ، بل احتقره وازجره ، وامنع كل خير يصل إليه ، فمَنْ ليس من مذهبك فهو مبتدع ، أو وثني ، أو مشرك نجس .

- العن المرأة ، أصابت أم أخطأت ، وأهدر آدميتها ، مهما اعتصمت بمظهر الإسلام ومخبره ومحضره ، فاحترام المرأة هو الكبيرة الثامنة التي لم يذكرها المحدِّثون فيما ذكروا من الكبائر السبع .

أخيراً ، قُلْ : نحن أهل الإسلام لا سوانا ، ومَنْ عدانا فهو عدو الإسلام ، وعلينا كفاحه ، ومن ليس منَّا فهو علينا ، ولْيَذهَبْ كل أهل القبلة سوانا إلى جهنم .

أمَّا بعد : فهذه أصولٌ من أبرز أصول (السلفية المعاصرة) ، يعلم الله أنَّنَا لم نتزيد فيها شيئاً ، بل تركنا من معالمها الأساسية كثيراً جداً ، رأينا أنَّ ما ذكرناه هنا إنَّما هو يدلُّ عليه ، أو هو ملحق به ، أو هو أثر طبيعي له ، وبعض ما تركنا من المثير الذي نعف عن الإشارة إليه ، احتراماً للشريعة والعقول والآداب .

واعلم أنَّ اعتناق هذه (السلفية) أيسر السبل إلى الثراء العاجل والربح

المريح (وانظر حولك) ، والتحق بركب (الغطرات والمشالح) تكسب دائماً (والخيار لك) .

والمطلوب منك الآن أنْ تضع هذه (المبادىء ، أو القواعد ، أو الأصول ، أو المعالم) التي سجلناها لك هنا في ميزان الشرع والعقل ، متجرداً من التعصب ، معتصماً بالإنصاف ، مراعياً ربَّك عَزَّ وجَلَّ في كلِّ ذلك ، فسوف لا ترى شيئاً من هذه الصفات يرجح في ميزان عدالة الشرع الشريف ، والعقل الحصيف ، بل إنَّها الفتيل الذي سيفجر القنبلة القاضية على الإسلام باسم الإسلام ، خصوصاً بعد أن افتتن بهذه السلفية بعض الشباب الذين لم تتح لهم فرصة البحث الكافي ، حتَّى اعتقدوا أنَّ الإسلام هو توفير اللحية وعداوة كافة أهل القبلة - سلفاً وخلفاً ، علماء وحكاماً - إلا ابن تيمية وابن عبد الوهاب ، مع التزام التعقد والتأزم الدائم .

ولسوف تعذرنا بعد هذا في أن ندعوك إلى أن تنادي معنا بوجوب سعة الأفق ، والأخذ بسماحة الإسلام ورفقه ومرونته ويسره ، والتنادي بالحبِّ في الله ، والتعاون على مكافحة المُجْمَع على كفاحه ، وخدمة المُجْمَع على خدمته ، وتَرْك ما عدا ذلك لكُلِّ إنسان بما يناسب نفسيته وذاتيته ، على ألا يؤذي غيره ، ولا يجعل (النفخة الكذابة) ودعوى الاختصاص بالصواب طريق الدعوة إلى الله .

إنَّنَا ندعو إلى محاولة التقريب بين كافة طوائف المسلمين ، أو على الأقل (المعايشة السلمية) التي قد تفضي إلى التفرغ لما هو أهم وأعم ، وما هو أهدى وأجدى ، والله الموفق المستعان .

* * *

لماذا أخاصم التمسلف والمتمسلفة ؟

ليست خصومة المحمَّديين للتمسلف لمجرد أنَّه مذهب يخالف مذهبهم قليلاً أو كثيراً ، ولكن لما في هذا المذهب من الخطورة البالغة على المقومات الفكرية والاعتقادية ، والقومية ، والوطنية ، وعلى المبادىء والقيم ، باسم « السلف » المظلوم .

فالتمسلف بتقسيمه أهل القبلة إلى أديان شتى ، ثُمَّ إلى مشركين وموحدين ، ثُمَّ إلى كذا وكذا ، ممَّا يجعل بأسهم بينهم ويشغلهم بتوافه الفتن عن كبريات الأخطار إنَّما يخدم الاستعمار خدمة لا تعدلها خدمة ، فقاعدة « فَرِّق تَسُد » التي ينفق عليها الاستعمار كل أمواله ، ويستعمل فيها كل تداهيه ولؤمه ومخابثه ، ويرصد عليها كل إمكانياته ، إنَّما لا تكلفه شيئاً أبداً إذا هو ساند التمسلف - كما هو واقع فعلاً - ولو بهذه الدنيويات التَّافهة التي يقدمها له سحتاً فوَّاحاً بالنتن ، فيروح دعاته مسعورين في كل جانب ، يهدمون ما بنى الله من أنفسهم وأمتهم ، ولا يزال أحدهم يرفس وينطح ويعض وينهش ، لا يبقي أديماً سليماً لمسلم عالم أو عارف أو حاكم ، سابق أو لاحق ، وبهذا يعود (التمسلف) فيخدم الاستعمار خدمة أخرى أخطر وأنكر ، هي تجريد التاريخ الإسلامي من المجد ، وتعرية الفكر الإسلامي من الثروة ، وكشف فرائد الفضائل على أنَّها عورات وآثام ومخاز ، فلا يعود المسلم يحس بمجد تاريخي ولا علمي ولا ثقافي ، ولا يعود يرى أجداده إلا شذاذ آفاق مضللين ولصوص مجد

أفاكين ، فينهار المسلم أمام نفسه ، ويصغر في عين ذاته ، ولا يجد ملجأ إلا التمسح بكل ما هو أجنبي ، والتماس كل ما هو غير عربي وغير إسلامي .

وهكذا يخدم (التمسلف) الاستعمار أنكر خدمتين ، عملية وفكرية ، فيحطم بيضة الإسلام من ظاهرها وباطنها شر تحطيم ، ولكن باسم الله والإسلام والتوحيد ، والله والإسلام والتوحيد بريء من كل ذلك .

ثُمَّ يعود (التمسلف) فيخدم المادية الطاغية الباغية ، بما يؤسسه من دعوة التشكيك في الغيب ، والحياة الروحية ، واليأس من أصحاب القبور ، والعبث بالأقداس والتقاليد المتسامية ، والزراية بمن أفضوا إلى ربهم ، وإنكار مدد الله عليهم ، واغتماز عصمة النبوة ، وحفظ الولاية ، والاجتراء على سر الله ، وتلك هي اللبنة الأولى التي بنى عليها الشيوعيون فكرة التخلص من العقائد والأديان ، والكفر بالنبوات ، والسخر من الإيمان بالسمعيات ، فإذا (التمسلف) من هذا الوجه خادم أمين جاهل للشيوعية الفاجرة ، وإنْ لم يعرف ، و(التمسلف) كذلك يخدم التبشير خدمة عجيبة بما يدعو إليه من حمل آيات الصفات على ظاهرها ، واعتقاد أنَّ الله يستوي وينزل ويصعد ، ويجيء ويضحك ، وأن له يدين وجنباً ورجلاً ، إلى آخر هذه التجسيمات والتشبيه الوثني الصارخ ، الذي يقول به المبشرون في ربهم سواء بسواء كما يقول (المتمسلفة) ، فضلاً عما يفيده التبشير من تشكيك التمسلف في الغيب ، والتوقح على حرم النبوة والولاية والجرأة بالتورك على كل شخصية وضحت في تاريخ الإسلام ! ! .

وعندما يذكر التمسلف يذكر معه أرض تحتضنه وتتبناه ، وراثة سياسية، لغاية غير دينية ، فاعتناقه يعتبر نوعاً من الخدمة الأجنبية لدعوة لا تمت إلى ثورتنا ، ولا إلى جهادنا ، ولا إلى مواريثنا وعقائدنا ، فهي من الطفيليات الفضولية الضَّارة بالعقيدة والسياسة ، والوحدة والقومية وكل ما يتصل بذلك .

ثُمَّ ما اختاره (المتمسلفون) لأنفسهم بطبيعة دعوتهم من أسلوب جدلي وقح ، وهجوم تعسفي هَدَّام ، ونظرة متعالية متغالية متغطرسة إلى خلق الله ، الذين لا يؤمنون بمذهبهم ، كل ذلك جعلهم في عزلة نائية عن مجتمع (أهل القبلة) ، وأسس بينهم وبينهم لوناً خاصاً من البغضاء والكراهية ، ما كان ينبغي أن يكون بين أمة لا إله إلا الله ، وقد تسوَّس عودها ، وأصابها الوَهَنُ ، وأحاطت بها النكبات .

لهذا ، وما هو منه ، وما يتصل به ، أخاصم التمسلف والمتمسلفة - مضطراً مع الأسف - خصومة مذهبية فكرية ، لا كخصومتهم العصبية الحاقدة الجاحدة ، التي لا تعترف للغير بإنسانية ولا عقلية ولا حرية ، سواء هي وخصومة الشيوعيين لأصحاب الأديان ، وقد أصبح التمسلف حرفة رابحة مجزية ، بما يفيضه على خدامه وعبيده من مال محلي وأجنبي ، وما يأذن لهم به من متع ورفاهية دنيوية ، وما على متعطل أو فاشل أو أفَّاق إلا أن يتخذ من هذه الدعوة مهنة هينة لينة ، حتَّى يعود ، وقد تقلب في الدمقس والحرير ، وابتنى القصور ، واقتنى أفخر السيَّارات ، ووطىء الذهب والفضة ، وأصبح ينافس أمراء المال والدنيا أو يزيد عليهم ، دون أي مجهود .

أقدِّم كل ذلك عذراً لي عند من تحدثت معهم يوماً بشأن الفتنة التي كادت تستيقظ في إحدى البلاد الشقيقة حين زارنا أحد هؤلاء (المتمسلفة)، وقد أحاطه أربابه بهالة خاصة ، أوشكت أن تجوز على بعض أصحاب النوايا الطيبة ، فلما أنْ كشفنا لهم الأمر على حقيقته عاد المتمسلف بأحد خفي حنين ، وأعني به الخف الذي لا يحقق غاية ، ولا تستيقظ معه الفتنة، ولا يتطاول به محترف مفتون على بقية المسلمين في بلد شقيق يطالب بحريته ، ويكافح من أجل استقلاله!! .

فليطمئن إخواننا هناك إلى أنَّ في القاهرة عيوناً مفتوحةً ، وعقولاً حرَّة، وأفكاراً عميقة ، بعيدة الأغوار ، إنَّما تعمل ولا تريد إلا وجه الله والدَّار الآخرة ، وما دام في العشيرة عرق ينبض فلن تدع لمحترفي (التمسلف) على المسلمين سبيلاً .

والحمد لله رب العالمين ..

*** وصَلَّى الله وسَلَّم على سَيِّدِنَا مُحَمَّد وعلى آله وصَحْبِهِ تسليماً كثيراً ***

وكتبه المفتقر إليه تعالى وحده
محمد زكي الدين بن إبراهيم الخليل الشَّاذلي
رائد العشيرة وشيخ الطريقة الشاذلية المحمدية
(رحمه الله تعالى رحمة واسعة)

بين التصوف والتمسلف
نفحة ولفحة من الشِّعْر

في جلسة واحدة ، من بعد صلاة فجر فجر الخميس ١٨ ذو القعدة ١٤١٧ هـ ، الموافق ٢٧ مارس ١٩٩٧م ، كتب شيخنا فضيلة الإمام الرائد سيدي محمد زكي الدين بن إبراهيم الخليل رحمه الله تعالى هذه القصيدة ، نَفَّسَ فيها عن بعض ما يجده على السَّاحة الصُّوفية من جهل وادِّعَاء وخمول وتخلف ، مما جعلهم معاول لهدم التصوف ، وأعطى الفرصة لأعداء التصوف أنْ يتهموه ويشنعوا عليه في صورتهم ، وما على الجانب الآخر من أدعياء التسلف من صلف وغرور وتكفير وتفسيق وتبديع ، فعن التصوف بين أعدائه وأدعيائه ، كانت هذه القصيدة الفريدة :

أَسيتُ لِمَا أمْسى عليه التصوفُ ... خُمولٌ ، وبهتانٌ ،وجَمْعٌ تخلفُوا

خُلاصةُ دين الله في منهج الدُّنَا ... تَيتّم ، فاسترعاه قوم تمصوفُوا

فإنْ قد عَجِبْنَا من فُلولٍ تَمَصْوَفَتْ ... فأَعْجَبُ منهم عُصْبَةٌ قد تمسلَفُوا

تغالى أُولاء ، وهؤلاء ضلالة ... وفي هدم أركان التصوف أسرفُوا

* * *

وقد بَقِيَتْ عَفْواً بقايا أصيلة ... حَمَيْنَا حِماهَا إذْ تَغالَوْا وحَرَّفُوا

وهبتُ لها جهدي ومالي ، ولم أَزَلْ ... أُبَاهِي بِهَا مَهْمَا تَجَنَّوْا وزَيَّفُوا

وكم أبرقوا بَغْياً عَلَيْنَا ، وأَرْعَدُوا وكم أَلَّفُوا فينا كِذَاباً وصَنَّفُوا

فما وهنت منَّا العَزَائِمُ ، أو وَهَتْ فبالحَقِّ قَدْ قُمْنَا ، وبالحَقِّ نَهْتِفُ

وهَلْ مُبصرٌ باللهِ ، في اللهِ ، مُبْتَلىً كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ، حَاقِدٌ أو مُخرفُ ؟ !

كلانا إِلى الرَّحْمَنِ يدعُوا كما ادَّعَى وللحَقِّ آفَاقٌ ، ففيم التَّطَرُّفُ ؟ !

❊ ❊ ❊

وقالوا بأنَّ اسم (التَّصوف) بدعة فقُلْنَا لهم أيضاً كذاك (التَّسَلُّفُ)

فهذا جَدِيدٌ مثل هذا ، فمَنْ تُرى يماري على حكميهما ، أو يُفَلْسِفُ

فيا كَمْ قشور تَشْغَلُونَ بها الوَرَى عن النَّار بالإِلحاد تَقْوَى وتعصفُ

وهذا هو (الإِسلام) يُذْبَحُ جَهْرَةً وهذا هو (الأَقْصَى) يَئِنُّ ويَنْزِفُ

أَمَرِكَا وإِسْرَائيلُ ، أعْدَى عدونا وروسيا وأوربا فأين التَّصَرُّفُ

ولكن بالتجميع ، والحزم والتقى تر الممكن الذاتي يصونُ ويُسعِفُ

❊ ❊ ❊

تصوُّفُ آبائي : كتابٌ وسُنَّةٌ ومَنْ خَالَفُونَا ، ليس مِنَّا ، فأَنْصِفُوا

فلا (وَحْدةٌ) مَا ، أو (حُلُولٌ) نُقِرُّهُ ولا (باتحادٍ) مَا ، نَقُولُ فنَهْرِفُ

فرَبٌّ ومربُوبٌ ، وخَلْقٌ وخَالِقٌ ودِينٌ هو (الإِسْلَامُ) ، والدِّينُ مَوْقِفُ

وفي كُلِّ ما نَبْلُوا : خَبِيثٌ وطَيِّبٌ وصِدْقٌ وكِذْب ، أو شَرِيفٌ وأَشْرَفُ

❊ ❊ ❊

وإِنَّا لَنَرْجُوا لِلَّذي قَدْ هَفَا النَّجَا وعَفْواً بـ(تأويل) إِلى الحَقِّ يَهْدِفُ

ومَوْلاَكَ يُنْجِي (بالشَّهَادَةِ) أَهْلَهَا ... ولا شَكَّ هُمْ منهم فلا تَتَعَسَّفُوا

فإنْ لَمْ نُؤَوِّلْ ، فَلْنُفَوِّضْ ، فإِنَّه ... جَدِيرٌ بِنَا نحتاط ، أو نَتَخَوَّفُ

ولَيْس لأَهْلِ الأَرْضِ تَكْفِيرُ مُسْلِمٍ ... بشُبْهَةِ قَوْلٍ ، أو بِرَمْزٍ يُكَيَّفُ

ولَمْ يَبْقَ فِينَا مَنْ يَقُولُ بِقَوْلِهِمْ ... فَفِيمَ أَذَى الموتَى وفيم التَّصَلُّفُ

وفيم إِذن تستأسدون على البلى ... وفيمن مَضَى الآلافُ مِمَّنْ تَحَيَّفُوا

هُمُ اليَوْمَ (حَفْرِيَّاتُ) تَارِيخِ عَصْرِهِمْ ... وهَذَا كَهَذَا فاتَّقُوا اللّٰهَ واكْتَفُوا

وأَخْطَاؤُكُمْ شَتَّى ، وفِيمَا يَمِيزكم ... عُبُوسٌ، وتَقْطِيبٌ، وكِبْرٌ، وسَفْسَفُ

***

نَعَمْ، لَمْ تَزَلْ فِينَا مَنَاكِرُ جَمَّةٌ ... وحُمْقٌ وتَخْرِيفٌ ومَا لَيْس يُوصَفُ

ونَحْنُ وسَادَاتُ التَّصَوُّفِ مُعْلِنٌ ... حُرُوباً عليه لا تَنِي أو تُوقَفُ

ولكن بحُسْنِ الظَنِّ والأَدَبِ الذي ... وَرِثْنَا ، نُنَادِي بالصَّوابِ ونُلْحِفُ

ولا عَيْبَ في هَذَا فَكُلٌّ تَجَمُّعٍ ... له وعليه : جَاهِلٌ أو مُثَقَّفُ

***

فيَا أَيُّهَا (المُسْتَأْجَرُونَ) لِهَدْمِنَا ... خُذُوا حِذْرَكم ، فاللّٰهُ أَقْوَى وَأَعْنَفُ

فضائحُ تَتْرَى لا رَعَى اللّٰهُ عُصْبَةً ... تُتَاجِرُ بالدِّينِ اشتراهَا (مُطَوِّفُ) ! !

فكم دَسَّ أَسْلافٌ لَهُمْ في تُرَاثِنَا ... أكاذيبَ هُمْ في زُورِهَا اليَوْمَ عُكَّفُ

ونَحْنُ بَراءٌ ، خَالِفٌ إِثْرَ سَالِفٍ ... ولكِنَّه غِلٌّ قَدِيمٌ مُكَثَّفُ

تَوَالَتْ مَسَاوِيكُمْ ، فلا يُطْغِيَنَّكُمْ ... (رِيَالٌ) و (دُولارٌ) وَزِيٌّ مُزَخْرَفُ

ومَهْمَا تَعَالَيْتُم عَلَيْنَا لِتَسْتُرُوا   عَمَالَتَكُم فالنَّاسُ بالعَارِ أَعْرَفُ

فَلاَ سَلَفٌ أَنْتُم ولا خَلَفٌ ، ولا   مُحِبٌّ لكم ، فاسْتَذْئِبُوا أو تَلَطَّفُوا

فسَوْفَ تَرَوْنَ الهَوْلَ يَنْهَالُ بَغْتَةً   فلا مُفْتَرٍ نَاجٍ ، ولا مُتَعَجْرِفُ

لقَدْ قُلْتُ ما قد قُلْتُ دَفْعاً لبَعْضِ مَا   يَقُولُونَهُ فِينَا ، وإِنِّي لآسِفُ

فَقَدْ عِشْتُ صُوفِياً حَنِيفاً ، ولَمْ أَزَلْ   وعِنْدِي لأَهْلِ الزَّيْغِ سَوْطٌ ومُصْحَفُ

***

ليس من التصوف الإسلامي

- القول بمخالفة الشريعة للحقيقة ، أو أن أهل الحقيقة لا يتقيدون بالشريعة ، أو أن ظاهر الإسلام شيء غير باطنه ، أو أن مسلماً عاقلاً رُفع عنه التكليف .
- القول بالحلول أو الاتحاد ، أو الوحدة التي تزعم أن الكون هو الله ، والله هو الكون ، وما جاء مما يوهم ذلك على لسان بعضهم فهو مؤول بما يوافق دين الله ، أو هو مدسوس على القائل ، أو هو مما قاله في حالة الفناء والغيبوبة على لسان الحق عز وجل ، ونحن نستغفر الله للجميع ، ونحسن الظن بكل مسلم .
- الذكر على الطبل والزمر بأنواعه مهما كان .
- تحريف أسماء الله والرقص بها ممطوطة ، أو محولة إلى أصوات ساذجة لا معنى لها ، ولا قراءة الأوراد بغير فهم ولا إعراب .

كلمة في السلفية الحاضرة

بعث العلامة الشيخ يوسف الدِّجوي [1] (من جماعة كبار العلماء بالأزهر) إلى العلامة الشيخ محمد زاهد الكوثري [2] (وكيل مشيخة الخلافة الإسلامية بتركيا) بهذه الرسالة « كلمة في السلفية الحاضرة » في (٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٨ هـ)[3] ، ونحن هنا نعيد نشر هذه الرسالة كاملة ، لما حوته من معلومات ضافية عن بعض رموز السلفية المعاصرة وشيوخها ، وسلفية اليوم هي سلفية الأمس ، نفس المنابع والجذور ، قال الشيخ يوسف الدجوي رحمه الله تعالى :

---

(١) العلامة الشيخ أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن أحمد بن نصر الدِّجوي ، عضو جماعة كبار العلماء بالأزهر ، المتوفى سنة ١٣٦٥ هـ ، عن ٧٨ سنة ، تتلمذ على عدد من الشيوخ منهم : الشيخ هارون عبد الرازق البنجاوي ، والشيخ أحمد الرفاعي الفيومي، والشيخ سليم البشري شيخ الأزهر ، وللشيخ الدجوي مؤلفات ممتعة سارت بها الركبان ، ومقالات متنوعة نافعة في الجرائد والمجلات . انظر الترجمة التي ترجمها له الشيخ زاهد الكوثري في مقدمة مقالات وفتاوى الشيخ يوسف الدجوي طبع مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .

(٢) العلامة الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثري ، وكيل المشيخة الإسلامية بدار الخلافة العثمانية ، فقيه حنفي ، جركسي الأصل ، ولد ١٢٩٦ هـ، وله تآليف كثيرة ، توفي بالقاهرة ١٣٧١ هـ عن ٧٥ عاماً ، ودفن بشارع الفخر الرازي ، أمام مسجد الكحلاوي ، قريباً من قبر أبي العباس الطوسي المشهور عند العوام بالتونسي . راجع كتاب الإمام الكوثري للأستاذ أحمد خيري، ومقدمات مقالات الكوثري .

(٣) طبعت هذه الرسالة لأول مرة في (١٤ شعبان عام ١٣٤٨ هـ) بمطبعة الترقي .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصَّلاة والسَّلام على رسول الله وآله وأصحابه .

فضيلة الأستاذ الجليل والعلامة النبيل السيد محمد [زاهد] الكوثري :

سلاماً واحتراماً ، وإكباراً وإعظاماً .

وبعـد :

فقد وصلني خطابك الكريم ، وهديتك الثمينة ؛ فما فرحت بشيء فرحي بها .

وأظُنُّ أنَّك ذكرتَ لي - يوم كنَّا مع المرحوم الشيخ عبد الباقي سرور نعيم - أنَّ بعض علماء الهند ذكر هنَّات ابن تيمية وزلاته ، وأفاض في الرد عليها ، وذكرتَ - فيما أظن - أنَّ هذا الكتاب كان عندك ، وقد تركته بالآستانة ، أو نحو هذا ؛ وتلك أمنيتي منذ زمان بعيد ، وفي الهند محققون متفننون مثل الشيخ عبد الحي اللكنوي ، والشيخ عبد الحق الدهلوي .

فإن كان ذلك الكتاب لواحد من هؤلاء ، فلا بد أن يكون قد جمع فأوعى ، على أنَّ هذه الكتب التي قمتم بطبعها ونشرها شافية كافية ، فجزاكم الله أحسن ما جازى به المجاهدين المخلصين .

وقد ذكرتَ - حفظك الله - كثيراً من هنَّاته التي خرق بها الإجماع ، وصادم بها المعقول والمنقول ، وبينت مراجعها من كتبه وكتب تلميذه ابن القيم ، ولا معنى للمكابرة في ذلك بعد رسائله في العقائد المطبوعة في

آخر فتاويه ، وبعد ما قرره في مواضع من « منهاج السنة » ، و « موافقة المعقول والمنقول » ، ورسائله الكبرى ، إلى غير ذلك من مؤلفاته .

فقد كان - سامحه الله - مولعاً بنشر تلك الآراء الشاذة ، والعقائد الضالة ، كلما سنحت فرصة لتقرير معتقده ، الذي ملك عليه كل مشاعره ، حتَّى أصبح عنده هو الدِّين كله ، على ما فيه من جمود وجحود وخلط وخبط ! .

وكذلك تلميذه ابن القيم رحمه الله كان مستهتراً بما جُنَّ به شيخه من تلك الآراء المنحرفة ؛ فكان دائماً يرمي إليها - عن قرب أو بعد - حتَّى إنَّه في كتاب « الرُّوح » الكثير الفوائد التي تُلَطِّف الأرواح ، لم يَنْسَ ما شُغِفَ به من تلك المقالات الحَمْقاء .

أمَّا كتابُه « الجيوش الإسلامية في الردِّ على الجهمية » أي أهل السنة ، فحدِّث عنه ولا حَرَج ! ، وإن كان في آخره رسالةٌ لشيخه ابن تيمية هي أقربُ إلى الاعتدال من كلِّ ما كَتَبَ ، وأحبُّ أن تطَّلع عليه .

وقد كنتُ يوماً مع الأستاذ الشيخ عبد الباقي سُرور عليه رحمة الله ، وكان مُفْتتناً بابن تيمية كثيراً ، معجباً بآرائه ، إلا أنَّه كان رجلاً عاقلاً ، وقد لطَّفنا من افتتانه ، وقلَّلنا من إعجابه ، فقال : « إنَّ ابن تيميةَ إمامٌ كبيرٌ ، ولا أدري لماذا لا يتبعُهُ النَّاسُ ، ولا يقولُ بقوله الجمهور ؟ » فقلتُ له ببساطة : إنِّي لا أتبعُ ابن تيميةَ مطلقاً ، لأنِّي إنْ كنتُ قد بلغتُ درجة الاجتهاد فلا أتبع غيري ، وإن لم أبلغ درجة الاجتهاد كنتُ مع الجمهور ، لا مع مَنْ شَذَّ عنهم ، فذلك أحوط في الدِّين ، وأقربُ إلى العقل والنَّقل .

فاقتنع – رحمه الله – بتلك الكلمات البسيطة ، وأعجب بها .

ثُمَّ قلتُ له : إنَّ ابن تيمية – في رأيي – لا يصحُّ أن يكون إماماً ، لأنَّ الإمامة الحقَّة لا ينالُها من يقدِّس نفسَه هذا التقديس ، فإنَّه إذا قدَّسَ نفسَه كان متبِّعاً لآرائها ، غير متَّهم لها ، فكان سائراً مع أهوائها ، غير منحرف عنها ، ومَنْ اتبع هواه ضَلَّ عن سبيل الله ، من حيثُ يدري ، ولا يدري ، ومَنْ قَدَّسَ نفسَهُ لم يتَّبِعْ سبيل المؤمنين ، شاء أم أبي .

ولكنَّ أئمَّة الهدى كانوا على غير هذا الحال ، يُجَوِّزون الخطأ على أنفسهم ، ويظنون الخير بغيرهم من علماء الأمَّة ، فلا يتبجَّحون ، ولا يسبُّون ، ولا يشتُمُون ، ولا يُسَفِّهون ، ولا يُكَفِّرون ! ، فكانوا – وهم ورثة الرسُّل – أشبه شيء بالرسل ، الذين يثني بعضهم على بعض ، عالمين أنَّهم : « أبناء عَلاَّت ، أمهاتُهُم شتَّى ، وأبوهُمْ واحدٌ » ، فكانوا مؤمنين حقاً ، وورثة الرسول حقاً ، يقولون : ﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ .

عالمين أنَّ البغضاء هي الحالقة ، وأنَّ أذية المسلم من أكبر الكبائر ، وأنَّ أعظم شيء كان يحبُّه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم – وكان المقصودَ الأعظمَ من الدِّين كله – هو الألفةُ والمحبَّةُ بين المؤمنين ، فكانوا يُسيئون الظَنَّ بأنفسهم ، متَّهمين إيَّاها ، محسنين الظنَّ بغيرهم ، فهم كأهل الجنَّة نُزِعَ ما في صُدُورهم من غلٍّ ، فأصبحوا إخواناً متحابين ، يُثني بعضهم على بعض ، وإن اختلفوا في الآراء ، وتباينوا في المنازع ، وها هو الشَّافعيُّ يخالف مالكاً في الرأي ، ولكنه يقول : « إذا ذكر العلماء فمالكٌ النجم » ،

ويقول في الإمام أحمد ، وهو تلميذُه الذي اتخذ مذهباً غير مذهبه :

قالوا : يزورك أحمد وتزورُهُ
قلتُ : الفضائلُ لا تُفارقُ مَنْزِلَهْ
إنْ زارني فبفضله أو زرتُهُ
فلفضله ، فالفضلُ في الحالَيْن لَهْ

بل كان يقلِّدُ بعضُهُم بعضاً ، علماً منه أنَّه من أئمَّة الهُدى ، كما قال أبو يوسف في واقعة البئر المعروفة : « نقلِّد إخوانَنا الحجازيين » ، وقد أبي الإمامُ مالكٌ حمل النَّاس على الموطأ ، وهو هو عند مالك ، ولكنَّه يحترمُ غيره من العلماء ، ويظنُّ الخير بهم ، ويجوِّزُ أن يكون الصوابُ معهم .

وأمَّا مَنْ فيه تلك الأنانيةُ الممقوتة ، وهذا الطيْشُ ، وذلك التسرعُ في كلِّ ما يلوحُ له ، مُقَدِّساً نفسَه ، هازئاً بغيره ، ساباً شاتماً ، غير محتاط ، ولا مُتَوَرِّع ، فهو أبعد النَّاس عن الإمامة ، وأقربهم إلى الخطأ والجهالةً ، وأشبه خَلْق الله بالأطفال أو الجُهَّال ، لم ينضج عقله ، ولا اتسع نظره ، كما اتسع نظرُ أولئك الذين تواضعوا ، اتهاماً لأنفسهم ، عالمينَ أنَّ العلم لا آخر له ، إيماناً بما قال تبارك وتعالى : ﴿ **وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ ، ﴿ **وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ** ﴾ ، وأنَّ الإنسان خُلق ضعيفاً ، وأنَّ النفس أمَّارة بالسوء ، وأنَّ الهوى يُعْمي ويُصِمُّ ، فكانوا من الورع بالذِّروة العُليا ، ومن الاحتياط بالدرجة القصوى ، ومن معرفة أقدار النفوس البشرية بالمحل الأعلى ، قد اجتنبوا كثيراً من الظنِّ ، لا يبوئون أنفسهم ، ولا يحتقرون غيرَهُم ، عالمين أنَّ الأمر بيد الله ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع .

وقد أدَّى ذلك العالمُ الكبير ابنُ تيمية ، بسرعته - ولا نقول طيشه - إلى أن يُجَازف فيقول : « لم يَرِدْ ذكر إبراهيم وآل إبراهيم ، في رواية من الروايات الواردة في الصَّلاة على النَّبيِّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ! » ، مع أنَّ ذلك في البخاري ، وهو يحفظُهُ .

ويقولُ : « إنَّ حديثَ صلاة التسابيح لا يُعَوَّلُ عليه ، ولا يُعْمَلُ به » ، وقد صحَّحَه كثيرٌ من الحُفَّاظ ، كالمنذريِّ وغيره .

ويقول : « إنَّ حديث التَّوسعة على العيال في عاشوراء موضوع » ، وقد ردَّ عليه السيوطي برسالة في ذلك .

وقد أنكر حديث الزيارة ، وهو صحيح كما أوضح ذلك السُّبْكي في « شفاء السقام » إلى غير ذلك ، مع أنَّه من الحفَّاظ ، وأشهرُ شيء في مزاياه هو أنَّه مُحَدِّثٌ ، ولكنَّه التَّسَرُّع ، يُذْهِبُ من النَّفْسِ رُشْدَها ، والمجازفة تُعْمي عينَ البصيرة ، وتفقأ بصر العقل .

على أنِّي أعترفُ بأنَّ لابن تيمية وابن القيِّم حسنات كُبْرى ، ومحاسن عُظْمى ، ومواقف مشهورة ، ومساعيَ مشكورة ، وتحقيقاتٍ دقيقة ، ومباحثَ أنيقة .

وإنَّه ليجبُ على العالم المنصف أن لا تحْجُبَه السيِّئاتُ عن الحسنات ، ولا الحسناتُ عن السَّيِّئات .

والإنسان مجمعُ الغرائب والعجائب ، ومحلّ المتضادات والمتناقضات .

وأرجو أن تعذرني ، فقد هاج حفيظتنا ، واستثار الكامن منَّا ، ما نراه الآن من أولئك الزَّعانف ، الذين يدَّعون الاجتهاد ، وقد رددوا صدى مقالِ إمامِهم ابن تيمية ، وأكثروا من ذكر الكتاب والسُّنَّة ، وهم أبْعَدُ النَّاسِ عنهما ، وأخلاهم منهما :

فرقةٌ تدَّعي الحديثَ ، ولكنْ

لا يكادونَ يفقهونَ حديثَا

ولو عقلوا لعلموا أنَّهم من مُقلدة ابن تيمية ، على غير هدى ولا بصيرة ، فهم أعظم النَّاس جهلاً ، وأكبرهم دعوى ، يُعادون المسلمين ، ويُكَفِّرون المؤمنين ! ، ولا غَرْوَ فقد كَفَّرَ أسلافُهُم مَنَ الخوارج عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، واعترض جدُّهُم الأعلى ذو الخويصرة على النَّبيِّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم :

ومَن كان يَهْوى أن يُرى مُتَصَدِّراً

ويكْرهُ « لا أدري » أُصيبتْ مَقَاتِلُهْ

وما أجْدَرَ من هذا شأنُهُ أن يقال له :

جهِلْتَ وما تدري بأنَّكَ جاهلٌ

ومَنْ لي بأنْ تدري بأنَّكَ لا تدري

وأمَّا الإمام الشيخ محمَّد عبده ، فهو غني عن الثناء والإطراء ، أكبر من الإسهاب والإطناب ، وقد رأيناه في « حاشية العقائد العَضُدية » يُسابق عبد الحكيم فيكادُ يسبقُهُ .

ولكنَّنَا نعْجب لـه ، وقـد تربَّى تلك التربية العقلـيـة الفلسفـية كيف يسير وراء كلِّ ناعق من الأوربيين ، فيردد صدى صوتـه ، بلا نقدٍ ، ولا تمحيص ؟! .

وقد يكونُ ذلك عندهم في محلِّ الظنِّ والتخمين ، أو الفَرْضِ والتقدير ، ورُبَّمَا أوَّل له الآيات الصريحة ، أو السُنَّة الصحيحة ، قبل أن يُقام عليه البُرهان ، أو يُبارحَ محلَّ الاستحسان ! .

ولَعَمْري : إنَّ هـذا يُمَثِّلُ الضَّعْف الإنْسَانيَّ أكْبَرَ تمثيل ، ويُحَقِّقُ أنَّ : « القلوب بين أصبُعَيْن من أصابع الرحمن » ، وأنَّ الإنسان خُلِقَ ضعيفاً .

ولا داعي لأن نُفيضَ في بيان تلك الآراء ، ففي « المنار » منها شيء كثير .

وأُراني قد أطَلْتُ ، أو أمْلَلْتُ ؛ ولكنَّها نفْثَةُ مَصْدُور ، فلنكْتَفِ بهذا ، سائلين الله تبارك وتعالى أن يُكْثر من أمثالك المجاهدين المُخْلصين .

يوسف الدجوي

من هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

---

* تمت (الطبعة الثانية) من هذا الكتاب « **السلفية المعاصرة إلى أين ؟ ومَنْ هم أهل السُّنَّة** » ، وقد قوبلت على الطبعة السابقة ، وبعض الأصول بخط المؤلف ، وبعض المباحث المنشورة بمجلة المسلم ، وكان الفراغ من صفها ومراجعتها ومقابلة أصولها في يوم الأربعاء ٢٨ من شهر صفر ١٤٢٤ هـ ، الموافق ٣٠ / ٤ / ٢٠٠٣ م ، اعتنى بها وعَلَّق عليها تلميذ الإمام الرائد : **محيي الدين حسين يوسف الإسنوي** من خريجي الأزهر الشريف ، غفر الله له ولوالديه ، ولله الحمد والمنَّة والفضل ، وهو الموفق المستعان .

فهرس الموضوعات

❊ ❊ ❊

من المؤلفات المطبوعة
لفضيلة الأستاذ الإمام الرائد

(١) أبجدية التصوف الإسلامي .

(٢) أصول الوصول (الجزء الأول) .

(٣) عصمة النبي ﷺ ونجاة أبويه وعمه .

(٤) الإسكات بركات القرآن علي الأحياء والأموات .

(٥) أهل القبلة كلهم موحدون .

(٦) فواتح المفاتح : الدعاء وشروطه وآدابه وأحكامه .

(٧) وظيفة الحديث الضعيف في الإسلام .

(٨) مراقد أهل البيت في القاهرة .

(٩) قضية الإمام المهدي بين الرفض والقبول .

(١٠) أمهات الصلوات النافلة .

(١١) ليلة النصف من شعبان .

(١٢) حول معالم القرآن .

(١٣) خلاصة العقائد في الإسلام .

(١٤) ديوان البقايا (ج١)

(١٥) ديوان المثاني (ج ١ ، ٢) .

(*) ومؤلفات أخرى كثيرة مطبوعة وتحت الطبع .

هــــذا الكـــــتاب

- السلفية المعاصرة إلى أين ؟ ومَنْ هُم أهل السُّنة ؟ للإمام السيد محمد زكي إبراهيم رائد العشيرة المحمدية رحمه الله تعالى .
- ملحقٌ متمم لكتاب « أهل القبلة كلهم موحدون ، وكل مساجدهم مساجد التوحيد » .
- احتوى على كثير من القضايا المهمة حول السلفية المعاصرة ، والشباب المفتون .
- بيَّن حقيقة الخلاف بين السلفية والصوفية ، والفرق بين السلفية والمتمسلفة (خوارج العصر) .
- شرح الكثير من خبايا المتمسلفة (أدعياء السلفية) وطريقتهم في نقل الأحكام من الحلال والحرام إلى الشرك والإيمان .
- نقل العديد من أقوال وآراء المفكرين المسلمين في التطرف والتغالي والتدين الفاسد ؟! .
- حكم تكفير المسلمين وتشريكهم ، وكيف تصبح سلفياً عصرياً ؟ وبين التصوف والتمسلف .
- كل ذلك بأسلوب سهل ميسر في العرض ، بما يتناسب مع روح الشريعة الإسلامية الغراء ؟! .